

ANCORA IMPARO



العُصُورُ

فبراير ١٩٣٠ - عرف نفسك بنفسك - فياغورس مجلد ٦ العدد ٣٠

من بقاء الإصباح

الى بقاء الاطالع

ARCHIVE
From the Survival of the Fittest,
<http://Tothe survival of the unfittest>

في سنة ١٨٧٨ نشر لسياني من رجاء المستعمرات الماشغلين بالعلم هو دكتور شيلي مارانجو مؤلفا عن جزر الكاريبي. غير أن الدكتور شيل لسوء حظه قد ضمن مقدمة الكتاب استعراضا لخص فيه نظرية النشوء، وذكر بعض البراهين التي عثر بها في جزيرة كاريبي مما كان في الأزمان القديمة من بربرية الإنسان البدائي. ولقد فرغت السلطات الكنسية، وعلى رأسهم الأسقف « بيدوت » من الاستكشاف الجديد، معلناً في حماه أنه « خطأ فاضح يبعد عن التقوى »، ولقد صدرت الأوامر إلى كل الذين كانوا يحوزون نسخا من الكتاب أن يسلموا كل النسخ التي لديهم للسلطات الكنسية كما طرد المؤلف من حظيرة الكنيسة

على هذه الصورة كانت العقيدة الكنسية في أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر الذي قيل بأنه عصر العلم، كما كان القرن الثامن عشر عصر التأمل. عصر حذر فيه على

علم من العلماء أنت يقول كلمة يظهر بها رأيه في مذهب على بعد أن نشر مذهب
النشوء في أوروبا بنيف وربع قرن من الزمان على القواعد التي وضعها داروين ،
وبعد أن أثبت مارش في أمريكا صدقه في الحفريات وفون باير في ألمانيا صدقه في
الأمبر يولوجيا ، والاستاذ هكسلي في إنجلترا صدقه في التشريح .

غير أن الصور العدائية التي ظهر بها اللاهوت في أواخر القرن الفارط يمكن أن
تعتبر آخر درجات الحمى التي أتت أهل الأديان ازاء العلم . والدليل على صحة هذا
القول أن جامعة واشنطن - وكانت حديثة التكوين في أواخر القرن التاسع عشر - قد
أعلنت من ناحيتها أقوالاً تؤيد نظرية النشوء الجديدة كما أن جامعات كثيرة في العالمين
القديم والحديث ، قد قبلت نظرية النشوء بالانتخاب الطبيعي ، واكب رجالها على
المذهب يدرسه بما يستحق من العناية والتقدير ، فضلاً عن هذا فإن من الظاهر
الجلي أن رجال الكنيسة العظام لم يقفوا فقط سير المعركة التي دارت ضد العلم بل
عملوا في أمانة وإخلاص لكي يضعوا قواعد جديدة للتوفيق بين الناحيتين .

ومهما يكن من أمر العوامل التي يمكن إضافتها إلى الانتخاب الطبيعي - ولقد
سلم داروين نفسه بأنه من الممكن أن تكون هنالك عوامل أخرى تؤثر في نشوء الأنواع -
فإن نظريته في النشوء الكوني ونشوء الصور الحية قد وضعت وثبتت قواعدها ، كما أن
نظرية الخلق المستقل القديمة قد اضمحلت وفنت من عالم الفكر الإنساني . ولقد تبدل
الإنسان منها بما أوحى العلم الحديث من تصورات ثابتة أبعد مدى وأنبأ قصداً ،
فتحت الباب لتكوين فكرة في القصد والغاية ، اجمل من كل الأفكار التي كونها
التصور اللاهوتي على مدى الأزمان (١)

هذه الصفحات القصيرة تعرفك شيئاً عن تاريخ الصراع بين اللاهوت والعلم
أزاء مذهب النشوء ، وتعرفك فوق ذلك أن المعركة كانت حامية الوطيس شديدة
المراس . وليس من قصدنا أن نمضي هنا في سرد الأسباب التي سببت هذا الصراع

(١) راجع كتاب بين الدين والعلم الذي ظهر حديثاً عن دار العصور ص ٣١١

والمحالات التي قامت في ذلك العصر الذي تحدت فيه نظرية النشوء على الصورة التي صبا فيها العلامة داروين ، بل مهدنا بذلك للكلام في مشكل اجتماعي ظهرت بوادره في المذنبات التالية ، وكانت آثاره السوآى ، تزداد سوما كلما خطت المذنبات إلى الأمام خطوة بعد أخرى ، فكانت ظواهر هذا المشكل الاجتماعى في المذنبات البدائية أقل ظهوراً منها في المذنبات المتوسطة كمدنية المصريين والكلمدان ، ثم زاد خطرهما في مدنية اليونان والرومان والعرب ، وهى في مدينتنا الحديثة أين صورة وأخذ أنراً منها في كل المذنبات الأخرى . ذلك المشكل الاجتماعى ينحصر في أن الإنسانية قد قلبت الآية من قانون طبيعى هو بقاء الأصلح ، فظهرت في بعض نواحي المجتمع عاملة جادة لأحياء سنة تخالف هذه السنة الطبيعية ، وبهذا أصبح الطامع الجديد في المجتمع انتقال من الخضوع إلى سنة بقاء الأصلح ، إلى الاستمتاع بشعرات حالات متراوحة غير مستقرة . تعمل أبدأ على بقاء الأطلح من أفراد المجتمع وظيفته .

إن أول ما يستلفت نظر الباحث في تاريخ التطورات التي اتت المذهب الدراوينى الحديث الذى يتلخص في النشوء بالانتخاب الطبيعي ، أن هذا المذهب لم يكده بنفس عنه غيار الطفولة في أواخر القرن الفارط ويستقر على أسس طبق فيه على علم الحياة المادية ، حتى أخذ العلماء يطبقونه على عالم الاجتماع . لهذا يجب علينا أن نوجز شرح النواحي التي طبق فيها المذهب على الاجتماع الإنسانى ليكون هذا الشرح أساساً لما سوف نستج من هذا البحث .

•••

نشر العلامة ، سبنسر ، الفيلسوف المعروف ، قبل أن يظهر كتاب أصل الأنواع بتسع سنوات ، في فصول اختتم بها كتابه ، التعادل الاجتماعى ، فكرة في تعليل الجماعات الإنسانية على قاعدة أن تكوين الجماعات إنما يرجع إلى طبيعة بشرية تنزع بالإنسان إلى المكافأة بين طبائعه وحالات الحياة المحيطة به . وكانت هذه الفصول النواة التي كبرت فيما بعد فصارت الأجزاء الضخام التي أخرجها سبنسر في صورة فلسفة انسيكلويدية في النشوء سماها الفلسفة التركيبية . وبعد ذلك بخمس سنوات ،

وقبل ظهور كتاب أصل الأنواع بأربع سنوات ، تناول سبنسر في الطبعة الأولى من كتابه «مبادئ علم البيولوجيا» تعليل الحياة مادية ونفسية ، وعزاها إلى أنها عبارة عن تقابل بين الصلات الداخلية في الأحياء ، وبين الصلات الخارجية للأشياء المحيطة بها . وفي سنة ١٨٥٧ - أي قبل ظهور داروين بكتابه الحلال يستين - نشر سبنسر في مجلة « وستمنستر » مقاله الكبير المعروف « الارتقاء : سببه وأسبابه » الذي عبر فيه عن مذهب جزئي في النشوء ، معلناً أن النشوء هو النظام الكلي الذي يخضع له الكون وكل ما فيه من صور الحياة والجماد

إذن فقد عرف سبنسر أن النشوء يتلخص في أمرين : مكافآت و تغايرات . ولقد تبع هذه الأبحاث نشر كتاب أصل الأنواع الذي تناول نشوء الصور الحية بالانتخاب الطبيعي . غير أن الحركة لم يحم وطبها إلا سنة ١٨٧١ عندما نشر داروين كتابه « أصل الإنسان » ذلك لأن مذهب الارتقاء الانساني أخذ يفهم في الدوائر العلمية على أساس من التصورات الثابتة المقرونة بالاستقراء الواقعي من المشاهدات الطبيعية . ولقد أدرك الفيلسوف سبنسر مقدار ما في سنة الانتخاب الطبيعي من أثر في المجتمع الانساني كما أدرك داروين أن تطبيق المذهب على الجمعية البشرية يحتاج إلى تفسير كيف أن التناحر على الحياة بين الجماعات - على ما فيه من صور القسوة والشدة - ينتج في النهاية ثماراً من الآداب العليا ، غير أنه لم يتم لاسبنسر ولالداروين أن يكون أحدهما أول غائص وراء الدرة المستقرة في أعماق بحر النشوء المتلاطم الأمواج بصور النظريات المتكاثرة ، وبقي استكشاف التصور العالمي من حظ العلامة الكبير وولتر بيجهوت محرر مجلة الا يكونوا مستلذذين ، إذ كشف عنها في كتابه المعروف باسم « الطبيعيات والسياسة : أوفكرات في تطبيق مبادئ الانتخاب الطبيعي والوراثة على الجمعيات السياسية » وكان الكتاب عبارة عن مقالات نشرت تباعاً في مجلة « الفور تيفلي » بداءة من شهر نوفمبر سنة ١٨٦٧ . ولما جمعت هذه المقالات في صورة كتاب خرجت في قطع من الحروف الكبيرة فلم تزد صفحانه على ٢٢٣ صفحة . غير أنك لن تقع في الأبحاث التي دارت حول هذا الموضوع على بحث أكثر ابتكاراً أو قوة فكرياً أو سلاسة تعبير أو استيعاماً في إدراك السببية الاجتماعية

أى علاقة الاسباب بالمسيك في الاجتماع - مما تقع عليه في هذه الصفحات القليلة منذ أن نشرت حتى اليوم .

في كتاب . التعادل الاجتماعي ، أظهر سيفر أن الانسان البدائي لما اضطر الى الاحتفاظ بحياته بان يستقوى على الانواع الاحط منه مرتبة في عالم الاحياء ؛ نزع الى القتل والفسوة ، بآتيهما غير غايي ، ولا مفكر في شيء . غير أن أخفاه ؛ بعد أن تم لها الانتصار على غيرها من الانواع الدنيا ، وورثت عن أوائها عالمها خاضعا لارادتها ولم تجد من حاجه تدعوها الى القتل والتفطيع ، من الجائز أن تكون قد عمدت الى التعاون المنتج في ميدان العمل السلي ، بعد أن فرخت في أحماق نفوسها أصول العطف النوعي . وعند هذا الحد وقف العلامة ميسر فلم يستطع أن يدرك أو يصور بالاستقراء حقيقة العلاقة الواقعة بين هذا النظام وتكوين الجماعات ، أو بينه ، بين الجهد الضمائي الذي يبذله مجموع متعاون بعد أن يكون في وحدة اجتماعية .

ولقد كانت حقيقة التآحر الضمائي - Collective Conflict لدى قياسه بالتآحر الفردي على البقاء ، هي الحقيقة التي وقع للعلامة ويجبهوت ، أن يمتحنها ويدرسها فلم يلبث أن تغذ بصيرته الى نواة الموضوع - قال :

(إن ارتقاء الفرد يتطلب تعاون المجموع لينمو ويثمر . أما المبدأ الاول في هذا النظام فهو أن الانسان لا يستطيع أن يرتقى الا في مجموع متعاون ، وقد يصح أن أقول قبائلا وأما ؛ غير أني استعمل اللفظة الاقل شيوعا ، لان الناس قد يرون أول وهلة أن القبائل والامم هي في الواقع مجموع متعاون ، وأن تعاونهم هذا هو السبب فيما لهم من قبة وجدار في الحياة ، وأنه مالم تحدث في جمعية من الجمعيات رابطة تعاونية قوية ، فإن هذه الجمعية لاتلبث أن تغزوها وتغنيها جمعية أخرى اكتسبت رابطة التعاون . أما المبدأ الثاني فإن أفراد مثل هذا المجموع يجب أن يكون بينهم قدر من المائلة بعضهم لبعض يكفى لان يحفزهم الى التعاون الايجابي السريع . على ان التعاون في كل الحالات المشابهة لهذه إنما يرجع الى شعور بالوحدة ، قلبا وروحا . وهذا الشعور بالوحدة لا يمكن استيعابه ، الا بعد أن تحدث درجة من المائلة الصحيحة في العقلية والمآثر بصرف النظر عن الاسباب التي تحدث هذه المائلة .

ولقد أراد ميسر ، ويجبهوت ، بعد ذلك أن يعال كيف تستحدث المائلة في العقل

والشعور في الجماعات فاجاب على ذلك بأنها انما تستحدث من طريق استبعاد لم تر له مثيلا في كل تجاربها الاجتماعية، الا وهو استبعاد « قانون العادة » ، Customery Law — ومن أجل أن يعطى حدوث العادات الاجتماعية ومقدار قوتها وأثرها في الاجتماع ، وضع نظرية ضمنها خصائص المحاكاة أو التقليد . فمن العادة من شأنها أن تحدث بمائة ما بين الوحدات الاجتماعية ، وتفرض عليها حياة غير متغيرة ولا متحركة ، بحيث تصبح هذه الحالة عقبة كبيرة في سبيل الارتقاء والتغايير من حال الى حال . لهذا يقول « يجهوت » ، ان ادخال عناصر التغايير وخلق نزعة الى الارتقاء في جماعة تحكمت فيها التقاليد ، أحد الاشياء التي تفيد الجماعات في مناحراتها العديدة وعلى هذا يسير التطور الاجتماعي في ظل معارك تقوم بين النزعات المتنافرة ، قسم منها في جانب الاستمرار والبقاء على التقاليد ، والقسم الآخر في جانب التغايير وتحقيق الاستقلال الفردي ، وقد تتسود في فريق من الجماعات إحدى هاتين النزعتين ، فإذا تساوتا من حيث القوة في جماعة من الجماعات التي تتناحر وجماعات أخرى ، فإن الأبقى في التناحر على البقاء هي الجماعات التي تأن فيها النزعتان وتتساوىان بحيث يصبح اثرهما سبيلا تزيح به الجماعة صفات الغلبة الضمانية . ولا جرم أن « مستر » يجهوت ، قد وضع بشواهد هذه نظرية ثابتة من النظريات المعتمدة عليها في علم الاجتماع الحديث ولقد عتب « داروين » ، على « يجهوت » ، في كتابه « أصل الانسان » ، قس الفصول التي بحث فيها العادات الاجتماعية والكفايات الادبية في الجماعات ، لتحل النتائج التي وصل اليها يجهوت ، ثم زاد اليها أشياء تعتبر أساسية في هذا البحث ، فقال بان أربعة حالات اجتماعية يملن للجماعات من سبيلها أن تفوز بالتفوق الاجتماعي خلال الصراع الذي يقوم بين الطوائف الانسانية . وهذه الحالات الأربع هي :

أولاً — الاتحاد الجمعي أو القبلي كسب للتفوق في التناحر بين الجماعات

ثانياً — العطف المتبادل كمؤثر في إيجاد الاتحاد الجمعي .

ثالثاً — أهمية الوفاء المتبادل والشجاعة الغيرية .

رابعاً — الدور الأكبر الذي تلعبه ظاهرة الميل إلى المدح والزهو في الذم

في خلق صفات الشجاعة الغيرية والوفاء المتبادل .

وفي هذه الاشياء الاربعة وجد داروين جواباً لسؤاله : كيف ، مع قيام الحالات التي يجب أن تقتن بالتناحر على البقاء ، يمكن للصفات الاجتماعية والادوية أن تجد فسحة تنفذ منها تدرجاً إلى حيث تزده وتطور وأن تنتشر بين الناس في أنحاء الدنيا المعمورة .

لقد أظهر الكونت ، كرويو تكين ، الروسي بكتابه ، التعاون المتبادل بين الحيوان كمؤثر نشوئى ، أن كلا من مستر ، ويجيهوت ، والعلامة ، داروين ، قد ترك في ميدان البحث في المشاعر الاجتماعية والتعاون المتبادل ثغرات سدّها هو بكتابه هذا . وكان قد نشره في مقالات ظهرت على صفحات مجلة القرن التاسع عشر . ولقد طبق كرويو تكين بعد ذلك نظريته في التعاون المتبادل بين الحيوانات ، على جماعات البرابرة والمتوحشين في أنحاء العالم . على أن هذه المقالات لم تبشر للناس بنظرية جديدة ولا هي واقفهم بعلم جديد في سبيل مستحدث من سبل الشوء ، ولكن كانت قد استجمع خلالها كثيراً من الشواهد والبراهين المؤيدة لحقيقة أن الدور الذي لعبته صفات العطف والتعاون في التناحر على البقاء كان عظيماً هائلاً ، كما أظهرت الى أي حد من الخطأ يذهب الذين يغضون الانتخاب الطبيعي بأنه عبارة عن تغلب الأقوى والأقلى والاحتيل .

ooo

إذا اعتبرنا هذه الحقائق وتأملنا منها ملياً ، وعرفنا أن تفوق الجماعات راجع الى عمالة ، نكون بين العقليات والمشاعر في الافراد التي تكون هذه الجماعة ، ثم تبصرنا فيما استجبت المدينة الصناعية من نزعات في مختلف نواحي الحياة الضمانية ، فأننا لانك أن نحكم بان المدينة سائرة اليوم نحو تهديد قانون بقاء الاصلح باوضاع تؤدي حتما الى بقاء الاصلح من قلوب الجماعات العظمى ، كما يسميها ، جراهام والاس ، في كتابه —

The Great Society

ولاجرم أن تقسم طوائف الجماعة الى فئات تتخذ كل منها صفة من الصفات التي تؤدي الى السقوط في معركة التناحر على البقاء الاجتماعى والانهزام في معصمة الاستقلال الذاتي سبباً الى تفوقها ، ضرورى في مثل هذا البحث . بهذا قسم الطوائف التي تحاول البقاء من طريق مضاد لما تتطلب حياة الجماعة لتكون جماعة غالبة في الحياة الى ثلاثة أقسام :

الاول - الذين يتطلعون الى الشئ من ناحية القوة

الثاني - الذين يحاولون التغلب من ناحية القوة

الثالث - الذين يطيرون الحياة الراضية من ناحية الحياة

وانت ان تطلعت في نواحي المجتمع الخاف بك اليوم لا ترى إلا أحد هؤلاء يرميك إما بقوة يخضعك بها ، وإما بقسوة يسلبك بها ، وأما بحيلة ينزع بها منك اسلحتك الاجتماعية .

ولقد كانت جماعات المدنية الحديثة أشد شعورا بحاجتها الى صفات التعاون الاجتماعي خلال سني الحرب منها في هذا العصر الذي علت فيه صيحة السلام وقامت عصبة الأمم شيحا تتطلع اليه الأمم ليدفع عنها غائلة الحروب . وكلما ازداد الناس اعلمتنا للسلام ازدادوا لزوما لعادات سوف تزيد في انفسهم حب الغلبة في إحدى هذه الطرق الثلاث ، فإذا تذكرنا أن هذه الطرق الثلاث هي الدعائم الأولية في التطور الاجتماعي استطعنا أن نحكم بان المدنية العصر الحاضر **تختص بصفة** جليلة بينة هي صفة القضاء على الاصلح في سبيل الاحتفاظ بالاطلاح من افراد المجتمع .

اسماعيل مظهر

<http://ArchiveBeta.Sakhril.com>

يا حياة

ألم أنت يا حياة مباد أو مداج ينسل في الآمال
ويبيض النهار فيك على الرغم من الشمس في سواد الليالي
أنت شواء غير أن الأمان طالما غررت برأى جمال
فإذا أنت فتنة النفس تصبين اليك على هدى وضلال
والأمان لوعة النفس حالت قبا في ظلام ليل الخيال
فتخال النفوس حتى اذا أو قط منها أعيت على الاغلال
والمقادير تلعب اللعب الأخرق بين أسراك بالاهوال
والنداعى بالصبر ملتجأ اليأ سر أنبا أم لم شب بامثال

عبد اللطيف ثابت

شائعات في الأدب والحياة

يظهر أن في الجماهير ميلاً شديداً وحنواً على الذين يحضرونها بأعمالهم دون أقوالهم ويظهر أيضاً أن الجماهير من عباد القوة دون غيرها . ظاهرة يمكن الاستدلال عليها في كثير من ظروف الحالات التي تقع تحت أعيننا في كل يوم ، بل وفي كل آونة .

مستبد يقوم في أمة من الأمم فيقتل حرياتها قتلاً ويستولي على الزمام من أمورها عنوة وغصباً ، ويهدر كل يوم من ابنائها دماءً ربما كانت أذكى من دمه ، ويعقل منهم عقولاً ربما كانت أرجح من عقله ، ثم يقوّمها بكلمات جوفاء ، كالماضي المجيد الذي نعمل على أحيائه ، و التراث العظيم الذي نعمل على بحث رفاته ، و يستحاربون متصربين بعد خمس سنوات **فنزولون الأرض** وتحببكم أرواح الاجداد ، و الامبراطورية العظيمة تنظركم فوق الأرض وملسكوت الله في السماء ، - فلا تلبث ان تنقاد متحمسة للذل ، متفانية في العبودية ، مستعينة في حب الخضوع والاستكانة .

وصحني يحاول ان يستغل لحظة الجمهور فيقدم له على منصة لا أكثر من ورق لامع وصور متقنة ، من فانتازيرقصن عاريات ، أو قيان يغازلن قيات في عهر وغواية ، أو رواية وقائع ما إن تروى إلا بين أهل الدعارة وكلمات يفرغ منها كل انسان عرف قيمة نفسه ، فيندفع الجمهور المحقر في نظر هذه الصحف ، الممتن في عقله ومستوى آدابه ، منهم في مقدار حكمه على الاشياء وراء هذه الصحف يعرضها لا باعجابه ولا بمدحجه ، بل بماله . صحف تعيش على استغلال اخط الصفات البشرية ، وتقرض بالربا الفاحش غواية تلقاء ضلالة من الجماهير ، فهي صحف تنهم عقلية قرائها بالفساد ، وتنشر علناً وتحت حماية من القانون صوراً خلقية لم تفكر الحكومات بعد في صيانة الجماهير من أدوائها العديدة . واني لا أعجب كيف أن حكومة نال الحكومة المصرية حيات قواها يمثل هذه الحملة المبررة ضد السموم البيضاء التي لانصيب الا افراداً ولا تفضل إلا مناكيد المجتمع بمن قضى عليهم ضعف العزيمة وققدوا الشجاعة ، تجهيز نشر صحف تنفث سمومها لا في الافراد بل في الجموع ، وتعيث فساداً في الارض

وتقيم سداً في وجه المصلحين الذين يحاولون رفع المستوى الأدبي والعلمي ، ابن منه سد الاسكندر ، كلا بل سد يأجوج ومأجوج .

في الأدب الحديث جانب من النقص لم أعرف حتى الآن كيف يمكن اصلاحه ، فاني لم اتبين من منازع الادباء حتى اليوم أن هنالك بادرة ترى الى القضاء على هذا النقص .

أعرف من الأدب في أول ما أعرف منه أنه طريقة في الوضع تقابلها طريقة في النقد . أما طريق الوضع فقد قطعنا فيه شوطاً لا بأس فيه على وجه الاجمال ، وأما طريق النقد فتلك هو النقص الذي لاتزان نحسه في الأدب الحديث . هذا في عصر يقول فيه : كانت :

« يمكن أن نصف هذا العصر بأنه عصر النقد . النقد الذي اضطر كل شيء الى الخضوع له . فالدين على عرش القداسة ، والقانون على عرش العظمة ، قد حاول كلاهما مرات أن يفلت من الخضوع لهذه الضرورة . غير أنهما بما حاولا في هذا الشأن قد أقاما في الاذهان شكافيا بعضدهما من الأسس والقواعد ، كما أنهما عندما بهذا ، كل ما حبا العقل غيرهما به من الاشياء التي أثبتت قدرتها على الثبات أمام النقد الحر . »

أخرجت منذ أسابيع كتيباً في مقارنات تاريخية تقليدية سميت « قصة الطوفان وتطورها في ثلاث مدينت قديمة هي الاشورية البابلية والعبرانية والمسيحية وانتقالها بالفتح الى المدينة الاسلامية » وأرسلت منها هدايا للصحف والمجلات التي خيل الى أنها تقدر الاطلاع على مثل هذه الابحاث ، فكانت الباكورة التي أطلعت في إحدى مجلات العراق على نقد جاء فيه :

« اسماعيل مظهر مغرم بكل ما يخالف معتقد الاقوام الذين يعيش في وسطهم وقد يصيب في بعض الأحيان في ما ينكره عليهم (الحد لله) لكن في أغلب الاحايين يخطئ الهدف .

ثم قال الكاتب . « وأول ما يشاهد في مطبوعات دارالتصور اغلاط الطبع فاتها تسبق جميع المطابع في هذا الميدان » . ثم قال « ونراه كثيراً ما يجعل بجانب الكلمة الاصطلاحية العربية الكلمة الافرنجية في حين لا حاجة إل ذكرها الشروع معرفتها

عند الجمع مثل الدين والفلسفة والتأمل والعلم إلى نحوها ، ثم قال ، وكثيرا ما يخطئ
 الكاتب في معرفة الألفاظ العربية الاصطلاحية فانه ذكر في ص ١٥٠ . أنثروبومورفزم
 أي الفكرة القائلة بزويد الله شيئا من الخصائص الانسانية . والمعروف عند السلف
 (رضي الله عنهم) بهذا المعنى مذهب التشبيه أو التشبيه . وسمي الفلسفة الحسية
 بالفلسفة الاثباتية . وكيف جاز له أن يسعيا اثباتية والحس أساسا والحس كثير
 الانتداع كما هو مقرر في علم الطبيعيات ، الى غير ذلك . ثم ذكر أني أخطأت في
 تعريب أسماء أعرف أنه يجب في تعريبها الا من درس اللغات القديمة وعلى
 الاخص الاشورية والكلدانية .

وأني لا أريد أن أنافسه فيما ذهب اليه وعلى الاخص لدى اعتراضه على
 اصطلاحى ذاتي وموضوعي اللذين أراد ترجمتهما بالذهنى والغرضى على ما قال السلف ،
 مع أن المقصود منهما في الفلسفة الحديثة بعيد عما ذهب اليه هذا السلف ، ولا أريد
 أن أنبه الى أني ترجمت اصطلاح **أنثروبومورفزم** ، بالناسونية ، وأنى أول من ذهب
 هذا المذهب في ترجمتها أفضل مناقشتي فيها ، ولا أريد أن أقول له إن ترجمت فلسفة
 كونت Positive Philosophy بالحسية خطأ محض وداهية ذهية على الفلسفة
 وأهلها ، ولا أريد أن أقول له أني جربت في ترجمتها بالاثباتية على قول السلف ، إذ
 كانوا يقولون فلان جبري و فلان اثباتي أو مثبتاً ، ولا أريد أن أنبه الى أن الفلسفة
 الاثباتية لا تقوم على الحس وحده بل تعتمد بدنيا كما تعتمد كل العلوم على تصور ،
 صحيح يثبت الحس بالتجربة أو المشاهدة ، ولا أريد أن أوجه نظره الى أنه اتهم
 أكثر من صحيفة ومطبعة بالأخطاء المطبعية فقال في جريدة البلاد التي يصدرها في
 بغداد الاديب الفذ ، روفائيل بطي ، أن اغلاط الطبع تتدفق فيها تدفق السيل العرم .
 لا أريد أن أنبه الى شيء من هذا ، بل أريد أن أسأله - بعد أن أسلم جدلاً بكل
 قدره هذه - أين الموضوع بالأساذ ؟ كل ما قلت صحيح ! ولكن ما رأيك في
 مقدمة الكتاب وفي الموضوع نفسه . ذلك الموضوع الذي لم نرم فيه الى تعريب الالفاظ
 ولا ترجمة المصطلحات ، بل الى مرمى يعرف الكتاب أنه مهزوم ان نأفقه

هذا ما ينقصنا في الادب الجديد . طريقة للنقد تتحرر من التقاليد ومن
 التخرص . وقد بسطنا البعض أن التخرص التي ظهرت عليه في مجلة لغة العرب

التي ساقط هذا التمدد ؟ فنقول له ارجع الى الصفحة المقابلة لهذا النقد والتي نشر في رأسها نقد جريدة البلاد ، الحرية ، الفكر لتري في نهايتها ما يأتي :

الفردوس — مجلة دينية أدبية تاريخية شهرية وستة عشرة أشهر يصدرها القس مفسى بوحنا راعي الكنيسة القبطية بملوى — ورد الجزء الأول بحجم الثمن الصغير وفيه ١٦ ص والمجلة مفيدة لمن يريد اصلاح الامة من وجهة الدين وهي الوجهة الحقيقية التي لا يستغنى عنها امرؤ يبغى الفلاح لنفسه ولغيره.

سائل محرر : لغة العرب ، ألم يخطئ. راعي الكنيسة القبطية بملوى ؟ ألم تعثر في مجلته على غلطة مطبعية ؟ كلا بالضرورة . وألف كلا .

يروى عن أمية بن أبي الصلت أنه قال في شأن رقعة الفيل يذكر الخليفة دين ابراهيم إن آيات ربنا باقيات ما يمارى فيهن إلا الكفور خلق الليل والنهار فكل **متين** حياه مقدور ثم يغسل النهار رب كرم **بجهاة** شعاعها مقشور حبس الفيل بالمفصر حتى **ظل** يحرق **دانه** معقور (١) لازما حلقه الجران **كجاء** فطر من صخر ككب محدود حوله من ملوك كنده ابطا ل ملاويث في الحروب صقور خلقوه ثم ابذعروا جميعاً كاهم عظم سانه مكور كل دين يوم القيامة عند الله الا دين الخليفة زور وقال في خراب سدوم وقصة لوط :

ثم لوط آخر سدوم أباها	إذ أناها برشدها وهداها
واودوه عن صيفه ثم قالوا	قد تبتاك انت تقيم قراها
عرض الشيخ عند ذاك بنات	كظباء بأجرع نرهاها
غضب القوم عند ذاك وقالوا	أياها الشيخ خطبة أباها
أجمع القوم أمرهم وعجزوا	خيب الله سمعها ورجاها
ارسل الله عند ذاك عذاباً	جعل الأرض سفلاً أعلاها
ورماها بخلصب ثم طين	ذي حروف مسوم إذ رماها

(١) لعله يشير الى قبل ابرهة الاشرم

وقال يذكر قصة فضيحة ابراهيم لابنه الحق .

ولا ابراهيم الموقر بالذ ر احتساباً وحامل الاجزال
بكره لم يكن لصبره عه أو يراه في معشر أقال
أبني اني قد تركت الله شيطاناً فاصبر فدى لك حال
واشد الصدد لا اريد من الكين حيد الأسير ذي الاغلال
وله مديّة محامل في اللحم م حزام حية كالملال
بينما يطلع السرايل عنه فكما ربه يكبش جلال
فتحن ذا فارسل ابنك اني لاني قد فعلنا غير قال
والله يفتي وآخر مولود قطار من يسمع فقال
ربما تجزع النفوس من الأمر له فرجة كحل العقال

ولشعراء النصارى كثير من مثل هذا الشعر الذي يصوغون فيه روايات
دقيقة في أحسن حلة ، وغالب الظن ان هذا الموضوع لم يطرأ في قد الشعر العربي
من قبل ، فلو توفر عليه أدب ومضى في مقارنات يستعمل فيها معتد هؤلاء الشعراء
وهم الذين مثلوا حركة النفاة بواحياً في قصورهم ، لكن لا مجال جديد في البحث
الأدبي له فوائده كما أن له جماله

ويروي على ذكر أمية ابن أبي الصلت أنه عند ما مرض مرضه الذي مات فيه
جعل يقول : قد دنا أجل وهذه المرحلة منيتي . وأنا أعلم ان الحنيفة (دين ابراهيم)
حق ولكن الشك بدا خلني في محمد . ولما دنت وفاته أغشى عليه قليلاً ثم أفاق وهو يقول :

ليكا ليكا ها أنذا لديكا

لأمال يهديني . ولا عشرة تنجيني . ثم أغشى عليه أيضاً بعد ساعة حتى ظن من
حضره من أهله أنه قد قضى . ثم أفاق وهو يقول :

ليكا ليكا ها أنذا لديكا

لا يرى فاضلر . ولا قوى فأنصر . ثم أنه بقي يحدث من عنده ساعة ثم
أغشى عليه مثل المرتين الأوليين حتى بشوا من حياته . ثم أفاق وهو يقول :

ليكا ليكا ها أنذا لديكا

عُفُوفٌ بِالنِّعَمِ

إِنْ تَغْفِرَ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدِكَ إِلَّا الْمَا
ثِمُّ أَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ فَقَالَ : قَدْ جَاءَ وَقْتُ فِكْرَتِي فِي أَمْرِي ، وَحَدَّثْتُمْ قَلِيلاً
حَتَّى يَتَى الْقَوْمُ مِنْ مَرَحَتِهِ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

كُلُّ عَيْشٍ وَأَنْفٍ نَطَّالٍ دَهْرًا مَتَشَى أَمْرُهُ إِلَى أَنْ يَزُولَا
لَيْسَنِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدْ بَدَأَ لِي فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ أُرْعَى الْوَعُولَا
فَأَجْعَلُ الْمَوْتَ نَحْبَ عَيْنِكَ وَاحْذَرِ غَوْلَةَ الدَّهْرِ إِنَّهُ لِلدَّهْرِ غَزُولَا



الْفَصُّورُ الْأُسْبُوعِيَّةُ

تصدر صباح الجمعة

من كل أسبوع

فتح جديد في عالم الأدب

الخولى القديم

جعل الشيخ قبلان يطوف بارجا حديقه آل هاشم مودعا المكان الذى نشأ فيه ورعاه منذ طفولته . وهو من عائلة تولى اسلافها هذا المنصب بالتوالى فمخرج منهم منذ اجيال ، فلما مات أبوه الذى كان يعرف كل شبر فى الضيعة تولى الشيخ قبلان وظيفته . وقد كان ذلك منذ اربعين عاما ، والآن قد عادت به الذكريات الى أيام طفولته حين كان أبوه يأخذه بيده وهو حامل السلة بالآخرى فيما يرى عودا غريبا من البساتين الا وقف أمامه متأملا فاما عرف اصله أو سأل أباه عن حقيقته

كان اليوم يستعيد تلك الذكريات وما تلاها فلما تراحت الافكار فى رأسه تصدعت بالآلم . وبالرغم من انه كان يعلم — حين قرر الخروج من الضيعة — أنه سوف يالم لمغادرتها فإنه ما كان يحسب ان يصل به الآلم الى هذا الحد الذى جعل يعانیه وهو يطوف بارجائها . . لقد كان كأنه نبت من تلك الارض أو شجرة من أشجارها وروح من أرواحها ومع ذلك فهامرذا بمغادرتها الآن بمحض رغبته ومشيته وهو الذى لم ير من مفاجآت العالم ومغامراته إلا حبة من نبات نادر يودعها بطن الارض فتفاجئه بعوده لم ير له من قبل مثيلا . . أو عاصفة تهب فجأة فتطير بعض الأغصان أو الأزهار التى كان يترقب بشوق نموها واكتمالها . . أو أمطارا كثيفة تهطل فتترخي الارض وتعيد بها فوقها من زرع يافع . هذا وذاك وما مائلهما من مفاجآت هو النوع الوحيد الذى كان يشير اليأس والأمل والحياة والنصرق نفس الشيخ قبلان حتى يوم صدور قراره بأن يغادر عزبة آل هاشم ثم يوم وقوفه وتجوأه ليتزود عما احب بالنظرة الاخيرة . . وما من شك ان حزنه وألمه كانا يتغلوتان عند ما كان يقف مودعا هذه الحيلة أو تلك لمجموعة من الأزهار والرياحين بقدر ما فى نفسه لكال منها من مثقلة واعتبار وذكرى قديمة أو حديثة . . بل لقد كان يستطيع ان يحس خلال ألمه الممض بشيء من السرور والأعجاب إذ كان يرى زرعة تكاد تبسم له كأنها تنطق له بالشكر ان لتعبه أباه حتى بلغت ما هى فيه من جمال وقوة .

واكثر ما كان يفكر فيه انهاء ما تساوره تلك الغبطة أنه إذا رجع بعد عام أو عامين
سهرى تلك الزرعة أجهل وأقنى مما هي الآن ، لاسيما و هو الذي تعهد الحولى الذى
سيخلفه وانشاء على غراره

وكان يقف، الحين بعد الحين ليلقى تعليماته على هذا البستاني او ذاك وقد أمضى
اكثرهم سنين كثيرة يشعلون تحت إمرته ، والعادة صنو الغريزة ، لذلك كان
(والوقت بعد الظهر) يوزع العمل بينهم لصباح اليوم التالى الذى كان سيغادر
الضيعة فى باكورته ، لكن العمال كانوا يصفون له بكل الاحترام بالرغم من أنهم
كانوا قد تلقوا تعليماتهم من خلفه ..

وأدى به المطاف الى خيلة كان ذلك الحولى القديم قد أقنى فى تسيقها وتسيقها فنه
ومهارته وتوجها بواو (هـ) من السندس الأخضر المزركش بالازهار البنفسجية
والحمراء والبيضاء فى انتظام وانسجام فائقين ، فوقف يتأمل الخيلة بعين الشيخ الذى
تلاحق الذكريات فى مخيلته فتبصر فى نفسه الأسف والاسى على عهود مزدهرة حجبتها
السنون بدوراتها . . . استذكر اليوم الذى غرسها فيه والاعوام التى قضاهما يتعهد نموها
ويشذب من اطراف الواو التى هى الحرف الاول من اسم (وفاق بك) صاحب
العزبة السابق الذى كان الشيخ قبلان يكبره بسبع سنوات وقد غرس أول بزره فى
فى تلك الخيلة يوم ولادته تحت اشراف ابيه وارشاده . . . وقد أخذ الشيخ قبلان
يفكر الآن فى عجب لماذا لم يفعل لدى ولادة البك الصغير مثلاً فعل لدى ولادة ابيه
مع انه كان وقت هذه طفلاً غريباً ومساعد بستانى ، وساعة تلك كبير الحوليين !!
أكان يحس حقيقة بما سوف يحدث ؟ ؟

واطال الشيخ قبلان الوقوف بين يدي الخيلة الخافلة بالذكريات وهو غارق فى
لجة عميقة من التفكير والاسى حتى انه لم يشعر بقدم رفعت بك مالك الضيعة الجديد
ووقوفه بالقرب منه متأملاً !!

وكان رفعت بك ملأً بطرف من قصة هذه الخيلة ، عارفاً بما يشير اليه حرف الواو
البديع الذى يتوجها . فلم يكن من الصعب عليه ان يترك انصراف ذهن الحولى القديم
فى وقفته امامها نحو ما تشبه من ذكريات . لذلك وقف رفعت بك على قيد بضعة
امتار منه يتأمله بعين الاعجاب والخيرة بينما كان قبلان واقفاً لا يبدى حركة كأنه
تمثال منحوت . . . شيئاً فشيئاً تحول شعور رفعت بك الى خضوع ورهبة

حتى لقد خيل له أنه ليس بنى حق في وضع يده على الضيقة التي اشتراها،
وان صاحب هذا الحق والاول به منه هو ذلك الشيخ الواقف أمامه . وأوشك
أن يعود أدراجه تاركاً الشيخ يناجي ذكربائه ، ولكن حانت من الشيخ قبلان
النفاسة صدره عن عزمه فتقدم من الخولى متثاقلاً في صوت منهجج : « أراك
تزود من غرسك بالنظرة الاخيرة ؟ »

أجاب قبلان — نعم يا مولاي ، و أنه لفراق مؤلم !

قال رفعت بك — ولماذا لاتعدل عن قرارك يا عم قبلان وانت تعلم اني اود
بذلك ؟ لست اريد منك أن تقوم بأي عمل لآنك حقيق بأن ترتاح في هذه السن ، على
أنك سوف نبني رئيس البنايين تصدر اليهم ما يمن لك من تعليلات فلا تغير
مكائنك عن سالف عهدك الا حين تجد نفسك في حاجة الى الراحة ، فهل انت
عواقق على البقاء معنا ؟

— اشكرك يا سيدي ولكني لا اري مناصاً من ان اذهب ، وارجو ان لا يقول
ذلك بأي معنى من معاني شكر ان انجيل قاني . . . يجب ان اذهب . .
وسكت الشيخ قبلان وسكت رفعت بك هنيهة وان كان قد بان على هذا الاخير
كأنه يحن شيئاً في نفسه ، ولكنه لا يصرى اذا كان يجدر به ان يصرح به أو يكتمه . .
وأخيراً فضل الاول فقال :

— أسمع يا شيخ قبلان . . اريد ان اسألك عن أمر وأريدك ان تحيى عليه
اجابة رجل لرجل . . عما لاشك فيه ان خروجك من العزبة ليس بالامر السهين
عليك فضلاً عما يترتب عليه من تغيير في نظام حياتك . . فهل انت مغادرنا لآنك
تريد هذا التغيير ؟ ام لديك سبب آخر لعله انك لانطلق ان ترائى مالكاً للعزبة بعد
آل هاشم ؟

فرغم الشيخ قبلان رأسه في إباء وشحم قائلاً :

— كلا يا سيدي . . لا هذا ولاذاك ، واشهد انه أتى ما شككت في ذلك قط منذ

رأيتك لأول مرة

فتهد رفعت بك تهيدة أزاح بها عن صدره ما كان جائئاً عليه من عبء ثقيل .

ولكنه عاد الى تفكيره فيما عسى أن يكون السبب الذي حمل الحولى على الاصرار على مغادرة العزة التي نشأ فيها وأقى في تربتها جهودها .

ورفعت بك كان من الرجال العصامين ، أنشأ نفسه وحالفه النجاح في جميع أعماله وخطواته ، وما كان يحفل هذه الحقيقة أو يخفيها على أحد ، بل لقد كان يفخر بها في غير ما عجب ولا زهو ولا غلو في تقدير نفسه . ولم يكن شرائه ضيقة آل هاشم وقصرهم المنيب بحديثه الغناء وليد رغبة منه للباهة والمفاخرة ، وإنما هو قد أقبل على شراء تلك الصنفه لما وجده فيها من مزايا قل أن تجتمع في غيرها .

على أن موقفه في تلك اللحظة أمام الشيخ قبلان كان موقفا عجيبا حقا فهو قد كان محوطا بالكثيرين ممن يعيشون من فئات موائد الاغنياء وهؤلاء لاداب لهم إلا كيل المديح والاطراء بالاردب والقنطار لمن يتوسمون فيه السمن والبدنة ، حتى يفتق عليهم من فائض دهنه ما يشبع جوعهم ويؤمن خوفهم . كما كان له الى جانب هؤلاء طائفة من الاصدقاء الصادقين لا يمتهم انجاسهم به من أن يدوا له الرأي الصحيح أو ما يعتقدون أنه الصحيح ولو خالف رأيهم . ولكن رفعت بك في تلك اللحظة كان مسودا بسلطان أقوى من سلطان المداحين والاصدقاء على السواء . كان يعتقد أن الحكم الذي يصدره عليه الشيخ قبلان هو الحكم الصحيح الصانع الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . لقد كان ذلك الشيخ حكيما وإن لم يكن عالما أو متعلما وقد استمر قائلا : « كذلك نجعلك باميدى لا يفتأ يتفقد المكان معتبا عناية ما عليها من مزيد يتفهم كل ما يقع عليه نظره فاذا لم يدركه بنفسه لم يأنف أن يستفهم عنه من هذا البستاني أو ذاك في رقة ودعة قائمين ، بعكس البك الصغير — يعني ابن المرحوم وقيق بك هاشم — الذي لم يكن يهتم قط أن يلم بشيء عن الزرع والضرع مع أنه قد ولد ونشأ هنا وكان هو الاجدر بالمنايا بشؤونه من كل من عداه لما كان المرحوم والده . وتهد الحولى تهيدة صامتة وتقلصت أسارير وجهه وزاغ بصره كمن يحرق في تضاعيف الماضي البعيد الغور وبعد هنيهة قال رفعت بك :

— يظهر أن هاشم بك الصغير لم يكن يكث هنا طويلا لانه أخبرني أنه يفضل

الاقامة في القاهرة ؟

— هذا صحيح يا سيدى فهو حليف أندية الميسر والرقص وغيرها من الملاهي

فلم يكن يجد من الوقت فحة ليحضر الى هنا اللهم إلا أن يكون برقته طائفة من
لبائه أو صوته فانه فاذا حضروا قضا الوقت القصير الذي يقيمونه هناك معاقرة بنت
الحيان ولعب القمار وما الى ذلك من لهر دفر سافل . وكان أبوه رحة الله عليه لا يخفى
امتعاضه من ملك ابنه ولكنه كان يكظم غيظه لاسباب بعد أن يقس من عدول ابنه
عن خطئه العوجاء وسيره الضال . وكذلك كانت والدته التي قبضها الله الى رحمة منذ
خمس سنات ، وبعد وفاتها كنت إذ أسير الى جانب المرحوم أبيه اسمعه يقول - كن
يتحدث الى نفسه من يدري ماذا يكون مصير العزبة من بعدى ؟

— وإذن فقد كان وفق بك ياأسا من إقامة ابنه في هذا القصر من بعده ؟

— هذا صحيح . ولكنه في الحقيقة لم يأس منه إلا بعد أن حافظ اليك الصغير
على عاداته بعد بلوغه سن الثلاثين . أما قبل ذلك فقد كان رحمه الله يحسب أن ابنه لن
يلبث أن تطفأ فيه حرارة الشباب ونزواته حتى ينأى عيشة البر ورفاق العمر المضر
فيقفل راجعا الى العزبة وهو أكثر معرفة بالناس مما لو قضى أيام شبابه في الريف . .
ولكن اليك الصغير عندما بلغ الثلاثين ثم تجاوزها ولم يزد إلا انغماسا في شهواته
وملذاته ضائع أمل أبيه في إصلاحه ، وبدأ يفكر في ذكرت لك في مصير العزبة من بعده .
ولكن الحق ياسيدي رفعت بك أن اليك الصغير شاب عظيم . لا يفارقه الاقسام بل
الضحك والقمقه . أو هو كما يقول المثل : لا يزال الخربت أم عمرت ، ومع أنه كان إذ
أراه صدقة يظل يتحدث الى حتى يصاب رأسى بالصدام فان كلامه طه كان خليطا عجيبا
لا تخرج منه نتيجة ، وكان ينظر الى كائن من . البله القدماء . ومن كان هذا شأنه
لا يلتفت الى رأيه ولا يؤبه بمشورته ، لذلك كان يقابل كلامي بالضحك والسخرية عندما
كنت أحاول أن أبين له عظمة هذه الضيعة والقصر اللذين سوف يؤولان له . (واستند
الشبح قبلان الى الشجرة القائمة عند مدخل الخيلة ثم استلقى قائلا) ولكني أؤكد
لك ياسيدي أن اليك الصغير بالرغم من هذا كله رجل قليل شريف العواطف دقيق
الحس كريم الاخلاق ، لم يخرج قط على تلك الحلال الجميلة والحاصل الحبيبة منذ
نعومة أظفاره . .

قال رفعت بك — وإذن فانت تغادر العزبة لانك تمتعض من تصرف اليك

الصغير ولا تريد أن تبقى فيها بعد خروجها من يد آل هاشم ؟

أجابه الشيخ قبلان - هذا صواب من بعض الوجوه ، ولا أخفى عليك يا سيدي
 أني صدمت صدمة شديدة اذ لم يكن اليك الكبير ينقل الى الرفيق الاعلى حتى باع
 اليك الصغير العزبة عن بكرة أبيها دون روية أو تفكير !! . وحيث شعرت أن
 خاتمتي قد حلت لاسيما أنه ليس هنا أحد من أولادي ليشجعي على البقاء . . . على أن
 عدم وجود أولادي هنا ليس معناه أنهم هجروا فلاحه الأرض ، كلا ، فإن اثنين
 منهم يشغل كل منهما وظيفة خول في عزبتين كبيرتين احدهما في البحيرة
 والاخرى في الدقهلية ، أما ولدي الثالث فمع أنه يشتغل كتابا في إحدى الدوائر بالقاهرة
 فإنه يقم في منزل بالجيزة وقد استأجر قطعة أرض بهوار منزله فأنشأ بها حديقة غناء
 يقوم على فلاحتها بنفسه ، وهو الذي سأذهب لاقم معه واقضي باقي من أيامي في
 العناية بحديقته

قال رفعت بك - ولكنها سوف تتراعى لك صغيرة بالنسبة الى هذه الضيعة ا
 أجاب الخولي - هنا صحيح ، ولكن الشباب لا يعود ، وقد لا يستطيع في الأيام
 المقبلة أن أفيها حقها من الخدمة .. غير أني سأكون سعيداً بحساب ولدي البار الصالح .
 وهو متزوج من سيدة فاضلة وله منها ولد وبنات اثنتان هما ابراهيم علي أحسن منوال ،
 فمن يدري ؟ ربما أمكنني أن أقوم بتربية أحدهما أو كليهما على حب الأرض وفلاحهم
 فلا ينقطع برون البستانيين من عائلتنا

- يسرني يا شيخ قبلان أن أعرف أنك سوف تجد الراحة والسعادة في إقامتك
 مع ابنك بما أتمنى لك تحقيق رجائك في تنشئة أحفادك على غرارك . . وإنما أحب أن
 أصرح لك أنه يجب عليك أن تعتبر هذا المكان مكانك فتحضر اليه في أي وقت تشاء
 ورجائي أن تكثر من زيارتنا في كل فرصة

وسكت رفعت بك ينتظر الجواب وكان يخشى أن يكون رفضا فتعظم آماله
 إذ يكون ذلك الرفض بمثابة حكم من الشيخ قبلان ضده بأنه مقتصب للضيعة ان لم
 يكن من وارثها . اليك الصغير ، فمن الشيخ قبلان الخولي الذي أفنى آباءه وأجداده
 جهودهم من قبله حتى بلغت الضيعة مرتبتها الحالية من غناء الأرض وغصب تربتها . .
 وبعد صمت خيل لرفعت بك أنه قطعة من الدهر بدأ الشيخ قبلان يتكلم قائلاً :

— أشكرك يا سيدي رفعت بك علي طيب عنصرك وكرم أخلاقك وأؤكد لك أنه يسرني حقيقة أن تناح لي زيارته هذه العزبة كلما سمحت لي فرصة لزيارتها، وأقول أن أعود قريباً لزيارتها كما أرجو...
ثم رفع بصره إلى الخيلة كما يريده أن يناجها برجائه الأخير. ثم خفض بصره وعاد يقول :

— أرجو.. أن لا أكون قد أزعجتك بمحدثي وشجرتي!!
وكان رفعت بك قد لاحظ الحركة التي أثارها الخولى القديم بالنظر إلى الخيلة كأنه يناجها، وأدرك بقطعة أن ما كان يحول في صدره آنف من رجاء هو أن تبقى تلك الخيلة على حالها محافظة على ذكري من زرعته يوم مولده وهو المرحوم وفق بك الذي كان آخر فرد في آل هاشم حفظ تراث أجداده وأدخل عليه من التحصينات والإصلاحات ما هو جدير به بمالكه النشور والأراغمة، على أن الشيخ قبلان أن لم يكن قد صرح برجائه الذي جاش به صدره فإذالك إلا لدقة في الاحساس وسوفي المواقف متعاه من أن يبدى تلك الملاحظات التي قد يكون فيها جرح للاحساس رفعت بك إذ يجده لا يفتأ يشير إلى أصعابه العزبة الأقدمين، ولكن رفعت بك أدرك كل ذلك قد يده للشيخ قبلان مودعاً قائلاً :

— نقي يا شيخ قبلان اني أكون سعيداً بزيارتك في كل وقت وأن، وإن تجد إن شاء الله أي تغيير أو تبديل فيما زرعت يداك لاسيما هذه الخيلة الجميلة. وإني تاركك الآن لآتمام جورتك، وأرجو لك السعادة والهناء.
وعاد رفعت بك إلى القصر، ووقف الشيخ قبلان قبالة شجرة الوار، ينأملها والشمس تنحدر عنها إلى المغرب...

مصر

في الحقيقة والخيال

EGYPT : in fact and fiction.

وجه أحد أصدقائي الأدباء نظري إلى مقال ضاف نشرته جريدة الاجيشيان غازيت الانجليزية في عددها الصادر في ٢٨ ديسمبر الماضي ، ردأ على مقال ذكر الكاتب أنه نشره في عدد ماض من أعداد هذه الجريدة ، تناول فيه كاتبه الحركة الادبية والعلمية في مصر .

ولقد ظهر لي أول وهلة أن المقال من قلم رئيس تحرير هذه الجريدة او من قلم أحد محرريها ، فقد اعتدنا أن لا تصح الاجيشيان غازيت صدرها لمقالات من غير قلم تحريرها مصبوبة في قالب معين ومطبوعة بطابع خاص بها .

ولست أدري كيف سكنت جرائدنا السيارة عن دفع المقترحات التي تضمنها ذلك المقال ، وكيف صمت كتاب هذا البلد وأدباؤه ازاء تلك القذائف النارية التي صبا عليها الكاتب في ثلاثة أنهر من جريدته ملاحا بالمتناوئى الفارقة والخطاياات الغريبة التي ذكرتنا بما كان ينشر في جرائدنا في أول عهدها بالوجود ، أي في عهد باد في صحافتنا المصرية ، أحياء ذلك الكاتب بمقاله المشحون بكل ما يمكن أن يوجه لشعب من مناص و مقترحات .

انى ولا شك من أول المعجبين بالادب الانجليزى ، بل وبالثقافة الانجلوسكسونية على وجه الاجمال . وانى لأعترف بأن مستقبل العالم ملك للغة الانجليزية ، وانه خير لامم الشرق أن تتحل العقليّة والخلق الانجلوسكسونيين ، من أن يتحلن شيئا عن الحضارة اللاتينية . ولكنى مع كل هذا أستطيع أن أعتقد هذه الثقافة وأن أقش فيها عن مناص سدثغراتها رجال من غير الانجليز . أستطيع أن أقول لولا وما كس مولاه الامانى المتجلز لاصبحت الآداب الانجليزية خلوا من كثير مما هي متحلية به من فلسفة اللغة والابحاث اللغوية العميقة ، بل ومن ترجمة ، الرغيفيا ، ومن الوقوف على شئ من أصول فلسفة الهند ومذاهبها . ثم أستطيع أن أقول أنه لولا باقون ولا هارك

وجفردي سائيلير في فرنسا وكاسبار فرديريك وولف وفون بوخ وفون باير في ألمانيا ،
لم يكن داروين وهكسلي وولاس في إنجلترا . فاستطاعت أن أقول ذلك وأكثر منه
لو أنني أردت أن أقتبس عن مناقص الأدب الإنجليزي وعن الدين الذي يحمله علماء إنجلترا
وأدباؤها لغيرهم من علماء الأمم الأخرى وأدبائها . ذلك لأن الكاتب قد نأى به السيل
عن تقييم الحالة الراهنة في الشرق عامة ومصر خاصة تقييماً جدياً بعقل غير مدخول
بشيء من التحامل الذي تعتقد أن السياسة اثرافه كبيراً ، أو ينظر غير مفسد بقرهات فئة
من الذين نعرف كيف يكيدون لهذا البلد ويلتصون الكاتب أمثال تلك الأقوال التي
أنتجها في صحيفته من غير أن يعرف حتى كيف يكيد بها لمصر ، فظهر بما لا يترك مجالاً لريب
أنه غافل عن أن مصر إن تأخرت عن اللحاق بأرقى الأمم الأوروبية من حيث التعليم
فذلك راجع إلى سياسة دنلوب وكرومر في المدارس المصرية ، تلك السياسة التي أخرجت
ثانويات فراقطة منحة ، وسدت السيل في وجه الفهم أن ينمو وأن يقدم بحاله

على أننا نرى أن من الواجب أن تلخص مقال ذلك الكاتب قبل أن نمضي في مناقشة
تجديداً لموضوع البحث :

اختار الكاتب فقرة واحدة من المقال الذي نشره ومضى عليها رده الطويل . جاء
في هذه الفقرة ما يلي :

« والنتيجة أن لمصر أن تفخر بان فيها محامين ومفكرين من الطراز الأول ،
وتحاة من الأطباء ورجال العلم والمهتسين وغيرهم من المثقفين الذين يمكن محاذاتهم
لغيرهم من رصفائهم الأوروبيين . فضلاً عن هذا فإن هناك نعطشاً للإساليب
الأوروبية ، حتى أن المؤلفات الأوروبية العظيمة أوتراجها العربية بدرسها وبستوعبها
حتى أولئك الذين لم تمنح لهم الفرصة ليمرس لغة من اللغات الأجنبية » — ولقد
استطرد الكاتب بعد ذلك إلى الصحافة فقال إن قوة النقد في الجمهور المصري قد
اضطرت أصحاب الجرائد إلى اتحال أرقى الأساليب الصحفية الخ الخ .

هذه هي الفقرة التي نقلها الكاتب من المقال الذي نشره وعليها مضى رده كما يظهر .
لهذا نمضي في تلخيص أقواله بإعطاء المستطيع بذلك أن نحصر ذهن القارئ في لب
الموضوع . قال :

• بدأ الكاتب بقوله إن البراهين التي تضمنها المقال الذي نشره لا تثبت أمام المناقشة والبحث ، وحتى على فرض أنها كلها صحيحة فإن ما طمع في اثباته من طريقها شيء غير جدير بأن يطمع فيه . فإن أمة — ، رفعت في زمان لواء المدنية والنور للعالم كله — قد انحطت اليوم إلى أمة لا صناعه لها إلا النقل عن غيرها من الأمم .

• وإذا فرض وسلمنا بأن في مصر محامين من الطراز الأول ، ولوأنه من المستحيل أن تطبق أية وسيلة يمكن بها معرفة إذا كان ، تقسيم الطراز الأول — يعني أن يكون معادلا لما في الأمم الأخرى . فإن أولئك المفكرون الذين تفخر بهم مصر؟ لم يظهر في مصر خلال العقد الماضي من الزمان الاقل سوفان ديبان هما طه حسين وعلى عبد الرازق ومع كل هذا فقد أظهرت مصر تقديرها لهما بأن اضطهدتهما وطاردتهما . وبعد هذين ولأولفين الذين يظهرون الآن كتاب فجر السلام ، لم يظهر أي أثر للرغبة في تطبيق قواعد النقد الحديث أو استخدام نتائج البحث الحديث . بل إن الأمر قد اقتصر على العودة شيئا بعد شيء إلى المادة القديمة ليلبسها الكتابون ثوبا جديدا . وعندما نذكر رجالا من أمثال طاغور الذين ظهروا في غير مصر من بلدان الشرق وقد حازوا صيتا عالميا ، فكيف نذكر بجانبهم مصر التي لم يظهر فيها رجل واحد عرف خارج بلاده ، فضلا عن الاضطهاد الذي ينزل برجالها . ولا شك في أن مصر أنجبت جراحين ومهندسين لم يعملوا من شيء إلا أن طبقوا العلوم التي درسوها في أوروبا . ولكن أين في مصر الأعمال الابتكارية التي زادت إلى مجموع المعرفة الإنسانية ؟

• ربما نقبط به أن في مصر أبحاثا مبتكرة يقوم بها أطباء مصريون ولكن هذا لم يكن له أثر إلا منذ زمان قصير . إن السبب في هذا هو أن المصريين يعتقدون أن نيل الدرجات العلمية غاية في ذاته . على الضد مما في أوروبا التي بدأ رجالها يدركون أن حمل الشهادات العلمية ليس بالكثير من دليل على أن حاملها قد تدرب عقله على أن يستوعب شيئا خاصا في الحياة . وحواه استطاع أن يستوعبه

أم لم يستطع فذلك شيء، ثم ارجع إلى نظرتي في الحياة والعمل الذي يجعله فيها بعد الفراغ من طور التعليم .

والحقيقة أن المصريين في مجموعهم يكرهون كل من يجرؤ من بينهم . فإن المصري الثالث (بعد طه حسين وعلى عبدالرازق) الذي يصح أن يقال أنه قال صينا عالميا هو أحمد حسين بك . ولا يبالغه مطلقا أن قلنا أنه لم يتجرّد عن الشرف والاحترام إلا في بلاده . وما يروى أن أحد ضباط الحدود أراد أن يقل من أهمية استشفائه لراحة . اركنوه فقال له رجال الحدود يزورون هذه الراحة كل شهر ! ولقد طبع « حسين بك كتابه - The Lost Oasis - في اللغة الانجليزية في إنجلترا وأمريكا على السواء . واتى رواجاً . ثم طبع نسخة باللغة العربية فلم يبع منها شيء . فاضطر إلى توزيعها مجاناً . وحتى الآن لم أقبل مصرياً قرأ هذا الكتاب .

لا يباع في مصر كتاب مهما كانت قيمته بأكثر من عشرة قروش مصرية . وهذا المثلث يدفع في كتاب . ومع هذا السعر الزهيد لا يباع منه إلا القليل .

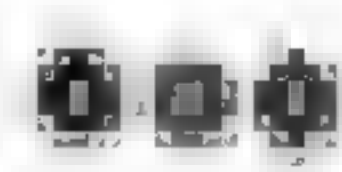
أما الذين يستوعبون الكتب الأوروبية وترجماتها فلا وجود لهم إلا في مجلة كاتب المقال . لأن كل القراء في مصر إنما يحكفون على الجرائد والمجلات الشعبية المضمومة المادة . والتي يغلب فيها أن تكون مترجمة عن المادة الأوروبية .

لا يوجد في مصر أدب مصري ولا كتاب . ولا يوجد مؤلف واحد من المؤلفين يستطيع أن يعيش من قلمه كما لا يوجد صحفي يستطيع ذلك . أما المثل الأكبر على ذلك فانه حتى الآن لم تظهر ترجمة جديدة لحياة سعد زغلول باشا . ولا أستطيع أن أعتقد أن شيئاً كهذا يمكن حدوثه في أية أمة من الأمم المتعدية الأخرى .

أما الجرائد المملوكة في آخر طراز أوروبي فهذه ملك السوريين . وإليه حتى الآن لم ينسج جريدة أدارها مصريون أن تتجمع كعمل مستقل تلب

البحايم لمدة طويلة من الزمان . أما تاريخ الجريدة والمؤيد والكشاف فأكثر دليل على صحة ما أقول . .

ثم عطف الكاتب على ناحية البائة فقال : . إن غاصى في الهند مثال الإنكار . أما زغلول يائسا في مصر فزال الطرف . . وختم مقاله بأنه يرجو أن لا تحمل أمة له على تحمل العداء للمصريين . وأنه يريد في النهاية أن يقول بأن مصر لا يجب أن تنتظر أن تفلح في شيء . إذا هي عكفت على النقل عن تمار العقل الأوروبي ولم تنزع في الوقت ذاته إلى تكوين ثقافة خاصة بها .



والحقيقة أن الكاتب قد أصاب في كلمته الأخيرة . فإن مصر يجب أن تكون لها ثقافة خاصة بها . ولكنه في الوقت ذاته قد أخطأ كل الخطأ بأن تعجل في الحكم على حركة تجديدية لم تقم إلا بالأمس . ولم تولد إلا بعد الحرب العظمى . فإن الذين أدركوا العهدين . عهد مصر الأدنى قبل الحرب وعهد ما بعد الحرب ، يدركون من غير كد أن الفارق عظيم وأن الثقافة المصرية قد أخذت تتكون بالفعل ، حتى أصبحت مصر اليوم ، ولها الفخر الأعظم . مارة الشرق ومركز التوزيع الفكري فيه . من أقصى الغرب إلى أقصى حدود فارس . لا يزارها في ذلك شعب من شعوب الشرق العربي بأجمعه .

أما اعتمادنا على الكتب والمنتجات الأوروبية في طورنا الحاضر فبألة طبيعية لا مطن فيها . فإن الرومان لم يكونوا آدابهم وثقافتهم إلا على الثقافة اليونانية . وكذلك متقدمو آباء الكنيسة النصرانية ومتأخروهم من أصحاب المدارس وكذلك النساطرة والبعثية والسريان والعرب . وكذلك أهل أوروبا في القرون الوسطى فاتهم أقاموا ثقافتهم على ترجمة ما نقل العرب عن اليونان ، وبذلك وضعوا الأساس وأقاموا عليه بناء ثقافتهم .

هذه هي الخطوات الطبيعية التي يخطوها كل شعب إذا نزع إلى تكوين ثقافة خاصة به . أما كلام الكاتب فيشعر بأنه قد تغفل هذه الحقيقة ، وهو يريد اليوم أن يقيم المصريين ثقافة مصر على غير أساس . وهذا ولا شك مستحيل .

إن من الضروري لكي تقوم ثقافة مصرية أن يكون لها أساس من الحضارة الحديثة . وكل محاولة لتكوين ثقافة على غير هذا الأساس مقضى عليها بالفشل المحقق . فان التحال أسلوب الفكر الأوروبي هو محور الدائرة في الصراع القائم اليوم بين المدرسة الحديثة والمدرسة القديمة في مصر . ولا جرم أن هذا الصراع يستغرق جهد الذين يخوضون هذه المعركة اليوم . ولا شك عندي في أنه من فاز المجتهدون بنيت دعائم هذا الأسلوب . فان الثقافة المصرية تتكون من طبيعتها وطبىس الأدب الطابع المصرى الصحيح من غير أن يحتاج إلى الاستعداد من التوائج الأوروبية . ذلك لأن ثقافة مصرية لن تقوم على غير أسلوب تتخذ ركيزة لمتجانها . وهذا ما غفل عنه الكاتب ومضى في مقاله من غير أن يقدره أو يجعل له أقل وزن في سلسلة براهينه التي أتى عليها .

وهنا يجب أن نعلن في صراحة أن مدرسة الصحافة المصرية قد خرجت من صحفيين من الطراز الأول . وأن من الصحافة ومن كد الصحفيين تكونت الحركة الوطنية الكبرى من غير أن يكون للعصر السورى أقل يد في ذلك . بل يجب علينا أن لا نغفل عن التيه على أدب صحفي هذا العصر من هم أنهم عتبا من أدباء إنجلترا في القرن الثامن عشر . فعندما من الصحفيين من هم أرغد عيشاً من صموئيل جونسون دكتور الأدب الإنجليزي في عصره ، وقيلنج الكاتب القصصى المعروف ، وأوليفر جولد سميث ، الذي باع روايته الخالدة قس واكفيلد بدراهم معدودة ، في حين أتى شخصياً بعث كتابي ملقى للسيل في موضوع على بحث باضماف ما باع به جولد سميث روايته . وما أذكر من الأشياء التي علفت بذمى عندما كنت أقرأ ترجمة صموئيل جونسون التي وضعها بوزويل أن أحد مشهورى الأدباء الانجليز التقى به آخر من رصفائه ولعله جولد سميث نفسه ، بعد منتصف الليل وفي الشتاء وكان أحدهما مغزوباً في عتبة منزل والآخر يتجول لعله يحفر على مأوى يأوى إليه ، فقال بالواقف على العتبة لزميله لا تنعب نفسك تعال ونم في حجرى — أى عتبة المنزل ؟ ولقد سافها بوزويل ليظهر مقدار ما تعرضه رجال الأدب في عصر جونسون من إهانة في سيل الادب . فهل كان في إنجلترا في ذلك الوقت أديب يستطيع أن يعيش من قلمه ؟

ليس في مصر أديب واحد بلغت به الثقافة ما بلغت بأدباء الانجليز في القرن الثامن عشر. وإني أقر هذه الحقيقة رافع الرأس . مياً بالكتاب أن يسألني البرهان وأنا الزعيم بأن ازوده بألف برهان بدل برهان واحد .

ولقد نسي الكاتب ولا شك أن الأدب الانجليزي لم يشع للأدباء إلا في القرن التاسع عشر . ولقد نسي مع هذا أن جامعي أ كפורد وكيردج قد ظلنا تزودان العالم الانجليزي بالمتعلمين وبالأدباء أكثر من ستة قرون من قبل ذلك . فإين كان الأدب الانجليزي وأين كان قراء الانجليزية الذين حووا أدباءهم من أنفسهم في شوارع مدينة لندن ، نواة العالم الانجليزي ، عراة حفاة جائعين ؟

ولا بد لي من كلمة أسوقها فيما يدعي الكاتب من أن مصر مدينة بصحافتها لأخواننا السوريين . في حين أن الحقيقة أن إخواننا السوريين مدينون بصحافتهم لمصر والمصريين . والا فليظهر لنا الكاتب العربي أنه لم يؤسس في سوريا كلها صحيفة واحدة تخارج أسط الصحف المصرية على إطلاق القول ، وسوريا كلها سوريولت ؟

وإلك لو قلت الصحافة السورية في مصر لو وجدت إن طابعها مصري قبل كل شيء . فكأن المصرية هي التي صيغت الصحافة السورية بطابعها الثابت . وأن عكس ذلك غير صحيح على الجملة

إن الأقلام المصرية هي التي تزود الصحافة السورية بأروع ما فيها من الأدب وأعمق ما فيها من صور الفكر . وهي التي تزود كثيراً من صحافة سوريا الراقية بمثل ذلك . أنه المنطق المصري والأساليب المصرية هي الطابع الثابت في الأدب العربي في هذا العصر ، وهذه حقيقة يعترف بها كل أهل الاقطار العربية من الناطقين بالضاد . ولو أني أعلم أن هنالك أي وجه لان يازعي شرقي من أهل العربية في هذا . لما أقدمت على تقريره في صراحة وجلالة هما حق في مثل هذا الموقف .

أما الصحف التي استشهد بها الكاتب ومنها الجريدة والمؤيد والكشاف وسقوطها في عالم العمل الصحتي ، فراجع الى حقيقة أولية بسيطة هي انها صحف سياسية تعمل في سبيل قضية وطنية ، وحياتها وموتها مرهونان على تطور التيارات الفكرية في السياسة . ولن تقوم صحافة مصرية ثابتة الدعائم بحق إلا بعد ان تفتح الحركة

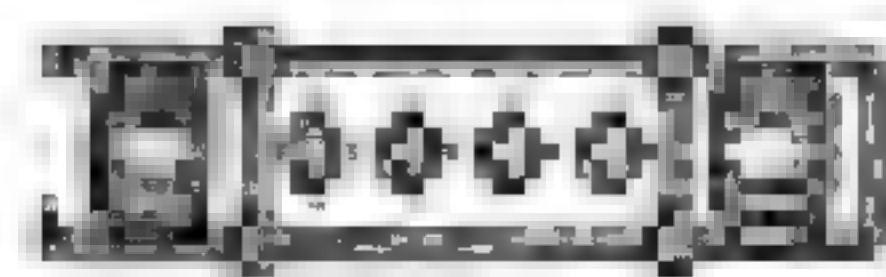
السياسة بوجه من الوجوه . وهذا شيء لم تعرض له الصحافة السورية السياسية في مصر لا جملة ولا تفصيلا .

فإذا رجعنا بعد ذلك الى اكتاب الناس على الصحف السورية ، فانا اذا استئينا « المقنطف » وهي بحق المدرسة التي لا ينسى المصريون فضلها ولا فضل مؤسسها المغفور له الدكتور صروف ، وجدنا انها كلها صحف صفراء . صحافة من الطراز الامريكي المنحط الذي يستغل أخط ماني الجماعات من نزعات . وعندى أن هذا النوع من الصحافة يجب أن يصادر كما تصادر المهربات والمواد المخدرة والعقاقير البضائية .

ولا يسبقن الى أذهان اخواننا السوريين انا بذلك نعمطهم حقهم ، بل انا نريد أن نعمطهم حقهم غير زائد ولا منقوص ، شأننا في كل ما نحاول بالتقدم في مختلف الموضوعات .

واظن أن في هذا القدر كفاية **لذلك الزائد الذي** كان قد نظرف في القول ، فقد استفدنا منه نصحه بان نعمل على تكوين ثقافة سورية ، اعتقد أن المصريين يتكاثرون على تدعيم أسسها في الوقت الحاضر .

الحرر



أوبرا أبي شادي
 ثروة أدبيكة فينة
 من الشعر والفنار والمثيل
 تطلب من المكتبة الشامية

الطريد

أو

الحرية المضطهدة

للشاعر المجيد صاحب التوفيق

شقي أجتهد الدياجي السواقف سلب رقاد أرقه الخاروف
 ترائي به ليل كأن سواده به الأرض غرق والنجوم كواسف
 ظلام تضج الريح في جنباته وتصطبغ الأمواج وهي رواجف
 أغارته ثارات الطبيعة رجفة سرت في حنايا الكون فالكون رواجف
 إلى أين تمضي أيها التائه الخطى يساربك برق أو يخاربك طاصف
 رأيتك في بحر الظلام كأنما إلى الشاطئ المجهول يدعوك هاتف
 تخوض الدجى سهران والنجم حائر يسانل من ذلك الشقي المجازف ؟
 طريدا يفر الوحش من وقع خطوة ونأى الضلال السردوهي صواقف
 كأن آله الشر يقتحم الوري أو ان الرديف يردده الرث زاحف
 قواعباً لم تحمل الأرض مثله ولا طواف منه بالجنة طائف
 يخلف الترى مسراه وهو يخافه ويتهمايسرى الدجى وهو خائف
 ترى !! أي سر في الظلام محجب ؟ أليس له من بأة القلب كائف ؟
 اجبني طريد الأرض إلى يهزني إليك هوى من جانب الغيب شائف
 فردد ذاك الطيف صوتاً عجباً إلى كل من رددته الممازف
 أجاب أجمل إلى الطريد عائي ليفرقك (١) السر التي أناعرف
 أنالك الأفلاك على أنا الذي رمته الدياجي والرعود القواصف
 أجل انت ذاك ، بانجني تكرت لعينك لكن القلوب تعارف

يؤلف قليلاً جهاد عخلد وأي قلوب فيه لا تكلف
وما أنا إلا من بني الأرض ناء بي مقم عذاب والشقاء المحالف
وما كان هذا الفود والموج والهجى ليرهب نفساً حقرت ما تصادف
سواء لديها الفجر أضواء أم سجت غياهب في سر الدجى تتكاثف
هي الأرض مهد الشر من قبل خلقنا ومن قبل أن دبت عليها الزواحف (١)
فختها الضحايا بالجور فأخبت وأزعها سيل من الدم جارف
وهيات تشفى غلة من دنائهم وبألت ترونها الدموع الذوارف
ولي قصة تعي القرايح دونها ويقصر عن تصويرها اليوم واصف
دعوت إلى حرية الرأي معشراً ثقافتهم طرب من الجهل زائف
يرون بأن العيش لذات مبطن وإن حياة العالمين زخارف
إذا لمحوا نور الحقيقة أغمضوا وقالوا ألا أين الضياء المشرق
عجت لذاك العقل حراً فإله من الزعم يسمى وهو في القيد واصف
هو الحق في الكراخ الحقيق فحبه وليس بما تزهى هناك المقاصف
هنا تصدق الانسيان عاطفة الهوى إذا كذبت رب العروش العواطف
لقد شئت نفسي الحياة وما أرى بدىلاً عن الكائن الذي أنا رائف
أبجد في الشرق البوع ويزدري وبشقي بمصر الناهون العطارف
يجوبون آفاق الحياة كأنهم رواحل بيد شردتها العواصف
طرائد في صحراء لا تبع واحدة بين ولا ظل من الأرض وارف
ألا إن لي قلباً جريحاً تحوطه ضائم تنزو من دمي ولفائف
أقله أحتاق ذماء (٢) ولم أزل أخاطر في النيا به وأجارف
كأرف تر رأسه السهم فارتقى خفوق جناح وهو بالدم نازف
أنبت إلى هذا المكان تقودني إليه عهود للشباب سواف
وماضي غرام مر غير موفق أظلك هاتيك الرنى والمخارف

(١) الزواحف هي الزحافات التي يقال أنها عمرت الأرض قبل الإنسان.

(٢) ذماء ريشاً

وقفت والقلب المودع أنه يجاوزها منكب من الدمع واكف
 أرتل فيها للطفولة والصبا أحاديث شتى كهن طرائف
 أودعها قبل الفراق وإنما أفارقها والقلب لطيفان آسف
 إلى حيث ينمو الرأي حراً تذيبه من الخلق فيها السن وصحائف
 لعل بلاداً لم تفنى سجاؤها ولا نبت فيها لذكرى عوارف
 نأعيش بها حر العقيدة وادعها واحف أما لسعدتى المواقف
 على محمود طه المهندس



A Monthly Review of Modern Bee Culture

لصاحبها ورئيس تحريرها احمد زكي ابو شادي

تصدر شهرياً عن ضاحية المطرية بالقاهرة في ٥٠ صفحة بالصور، جامعة
 لاهم الباحث العلمية والعملية، ويكتب فيها اعلام الاختصاصيين، بدل
 اشتراكها السنوي ٣٠ قرشاً تدفع مقدماً، وتباع كذلك في المكتاب الشهيرة

بين الشرق والغرب

عقلية استنتاجية في الأول

تقابلها عقلية استقرائية في الثاني

يمضي كثير من المعكرين في انحاء مستفيضة تناول الاسباب التي قعدت بالشرق وحده عن اللحاق بالغرب في تطوره نحو المثل العليا ، حتى لقد تساءل بعض الكتاب أمن فروق فيولوجية تفرق بين الناس في الشرق والغرب ؟ والآراء في هذا الموضوع كثيرة متضاربة . فقد نظر البعض في الاسباب التي صدرت النصرانية ، وهي ديانة شرقية اسيوية ، عن أن تؤثر في جو روما المديني ، وهو جو امزج فيه الروح الاغريقي بالنفس الرومانية ، فنخلق من أهل الغرب أممية بالأمم الاسيوية تستعبد لها الآخرة وتستذلها كما استذلت البوذية أهل الهند والزرادشتية أهل فارس والاسلام كثيراً من مختلف أهم الشرق ، فذهبوا الى القول بأن السبب في ذلك راجع الى أن في الأمم الاسيوية مذنيات امتصتها الأديان ، وفي الغرب دين امتصته المدنية ، وعزوا الى هذا الامر وحده السبب في تفوق الغرب على الشرق ، على أن نظرة تأمل واحدة تزودنا بكثير من الاسباب التي تجعلنا نرفض الاخذ بهذا القول على أنه استقراء صحيح لطبيعة الحوادث .

حقيقة أن المدنية الرومانية قد رفضت الكثير من تعاليم النصرانية ، غير أن تعاليم النصرانية ، بل والاكثرية الكبرى من هذه التعاليم ، قد أثرت في الغرب أثرها المحسوس في خلال القرون العشرة الاولى من تاريخ النصرانية في أوروبا ، فالانصراف الى الآخرة دون الدنيا ، وه الدروشة ، والكاملة التي اتحلها الكنائس و الفصائح المظلمة التي بنضوي عليها تاريخ البوذية ، كل هذه فيها من الروح الاسيوية قدر كبير ؛ بل لابالغ اذا قلنا انها مظاهر الروح الاسيوي في المدنية الرومانية القديمة . غير أننا نجد بجانب هذا اخطاء واغاليط ملدبة ذات حياء في تنبيه الاذهان الى الرجوع الى الدنيا دون الانصراف الى الآخرة أولاً وآخراً . فان التبشير الكسسي بأن القرن العاشر هو نهاية العالم وتقبل الناس

لهذا التبشير المحمود بالمسكان والزمان، ثم جرى الفلك على ما كان في أوائل القرن الحادي عشر، كان في الواقع أجرد شيء به الأذهان إلى أن الحياة الأرضية جدرة بالسعي خليقة بأن تحترم وأن تأخذ نصيبها من الدنيا. والواقع يدلنا على أن هذه الأغاليط المادية، كانت السبب في قيام حركة الإصلاح البروتستانتي، لأسباب إذا أضفنا إليها عدة أغاليط تشابهها كبيع التفرقات وبيع دم المسيح واحتكار اللغة اللاتينية للعلم والدين والأكاذيب في شعوب تشعب بالكثير من العزة القومية.

هذا من الناحية الاستنتاجية الصرفة. أما من الناحية العملية فقد قال البعض إن الفرق بين الشرق والغرب راجع إلى أسباب مادية كطبيعة البلاد والمناخ إلى غير ذلك من النظريات التي أخذت عن العلامة «بويل» الانجليزي.

أما السبب الأكبر الذي أراه في تعطيل الأمر فيرجع إلى عكوف الشرق على منطق انصرف عنه أهل الغرب إلى منطق يناقضة.

لقد ورث الشرق عن القدماء منطق أرسطو طاليس الاستنتاجي الصرف Deduction — وهو منطق يرجع إلى العقل وحده دون الرجوع إلى مشاهدة أو اختيار، في حين أن الغرب قد خلق منطقاً جديداً هو المنطق الاستقرائي الذي اتبعه غاليليو وكوبرنيكوس وكبلر وجورجانو برونو وديكارت ثم هببه ياكوب بقضايا المعروفة في كتابه «المنطق الجديد» — Novum Organum — ثم جاء من بعد ذلك «الحكيم الكلي الحكمة» — هيوبيل الايقومبي — فوضعه على الأساس الحديث المأخوذه حتى اليوم في ترتيب المعارف الانسانية. ذلك هو المنطق الاستقرائي — Induction — وأساسه المشاهدة والاختيار.

هذا يميز العلم ويحدد وهذا استطاع الغرب أن يخطو في طريق لم يعرفه الشرق بعد. هذا عندى هو السبب الحقيقي في ما بين الشرق والغرب من فرق، وهو سبب محصور في تكوين العقلية، — وهي من الأشياء التي يمكن الحصول عليها بالدربة والمران. واليك بعض القواعد التجريبية التي وضعا «هيوبيل»، نقلها عن كتاب بدأنا في وضعه ولم فيه بتاريخ المنطق الجديد وطرقه وأساسه والنتائج التي يؤدي إليها.

(١) الإنسان معقل الطبيعة، والعلم هو التعليل الصحيح

(٢) الحواس تعرض لنا الصفات الكامنة في كتاب الطبيعة. ولكن هذه

الصفات لا تنقل إلينا معرفة ما، قبل أن نستكشف « الأيجدية » التي نقرأ بها ذلك الكتاب .

(٣) إن الأيجدية التي تفسر بها الظواهر الطبيعية ، إنما تتكون من الأفكار الموجودة (أو المستقرة) في عقولنا . لأن هذه (الأفكار) هي التي تزود الظواهر بصفتي المطابقة والخطورة اللتين هما من موضوع العقل ، لا من موضوع الحس .

(٤) إن التناقض الواقع بين الحس والأفكار ، هو أساس فلسفة العلوم ، يد أن هذين العنصرين ضروريان بحيث لا يمكن أن توجد « معرفة » بدون اتحادهما ، ولا فلسفة بدون انفصالهما .

(٥) الحقيقة الكلية و « النظرية » تقابلان « الحس » من جهة و « الأفكار » من جهة أخرى ، مادما « على وعى » من أفكارنا . ولكن كل الحقائق ، كلية وجزئية ، تتضمن أفكارا على غير وعى منا . وبذا لا يكون التفريق بين الحقائق والنظريات من الطواعية ، بقدر ما هو بين الحس والأفكار .

(٦) الاحساسات والأفكار في معرفتنا ، كشكل المادة والصورة في الأجسام . فالمادة لا يمكن أن توجد من غير صورة ، والصورة لا توجد من غير مادة . ومع هذا فالأثنان (المادة والصورة) معيقتان متقابلتان تماماً . ولكن ليس في الامكان فصلهما ولا ادماجهما . وكذلك الحال في الاحساسات والأفكار .

(٧) الأفكار احساسات « مكيفة » ، لاحساسات مبهوشة . لأنه بغير الأفكار لا يكون للاحساسات صورة .

(٨) الاحساسات هي الجزء « الموضوعي » objective ، كما أن الأفكار هي الجزء الذاتي Subjective ، في كل فعل من أفعال الإدراك أو المعرفة .

(٩) تدل الاصطلاحات العامة على مدركات تخيلية كدائرة أو فلك سيار أو وردة . وهذه الأشياء ليست أشباحا لأشياء حقيقية ، كما كان يعتقد « الواقعيون » Realists بل تصورات . غير أنها تصورات لا يربط بينها مجرد اسم ، كما كان يعتقد « الاسميون » Nomenalists - بل تربط بينها « فكرة » .

(١٠) قال البعض : أن كل التصورات ليست إلا مجرد حالات أو مشاعر مرجعها

العقل . غير أن هذا القول يؤدي إلى المزعج ، بين ما يجب علينا تفرقه .
(١١) لكي يفتح عن الحقائق الكلية المشاهدة ، حقائق جزئية جديدة ، يتحتم أن يربط بين الحقائق الكلية بفكرة تراد إليها . وبالأستقراء نحصل على مثل هذه الحقائق (الجزئية) .

(١٢) الحقائق الجزئية ، إذا حصل عليها بالاستقراء الصحيح ، تكون حقائق كلية . وهذه الحقائق الكلية يمكن أن يربط بينها مرة أخرى على صورة تدفع معها حقائق جزئية أرقى من سابقتها . وهذا تقدم صوب التعميمات المطلوبة .
(١٣) تكسب الحقائق التي نحصل عليها بالاستقراء ، صفاتي البقاء والاستمرار ، بأن يعبر عنها باصطلاحات عليية .

(١٤) التجربة لا يمكن أن توجهنا إلى حيث نعث على الحقائق الكلية ، ولا على الحقائق الضرورية . أما أنها لا توجهنا إلى حيث نعث على الحقائق الكلية ، فذلك لأن التجربة (الانسانية) لم نسم كل الحالات الطبيعية . وأما من حيث الحقائق الضرورية ، فلأن الضروريات ليست من الأشياء التي يمكن أن تخضع للتجربة إن تمتحنها لتعرف مقدار الحق فيها .

(١٥) تستند الحقائق الضرورية صفة الضرورة ، من المفكرات التي تتضمنها ، ووجود الحقائق الضرورية برهان على وجود مفكرات ، ليست التجربة منشؤها .
(١٦) في التفكير الاستداعي Inductive لا نستطيع أن نحصل في النتيجة على حقيقة ، لم تتضمنها المقدمات مبدئياً .

(١٧) العلوم التي تعتمد في وجودها على فكري الزمان والعدد هي علوم مجردة لا علوم استقرائية ، أنها لا تخرج نظريات خاصة من حقائق كلية . بل تستنج النظريات من المفكرات . أما العلوم المجردة الأولية — وبالأحرى الرياضيات المبدئية — فهي الهندسة والحساب النظري والجبر .

(١٨) المفكرتان اللتان تعتمد عليهما العلوم المجردة هما فكرتا المكان والعدد ، غير أن العدد عبارة عن تكيف مستمد من تصور التكرار ، الذي هو تابع لفكرة الزمان .
(١٩) أن فكرة المكان لا تستمد من التجارب ، لأن تجارب الأشياء الخارجية تفرض بدياً وجود اجسام في المكان . إن المكان ليس سوى حالة يتقبل العقل تحت تأثيرها مقولات الحواس ، وبذلك نصنع علاقات المكان ، ضرورة وعلى وجه هام ، على كل الأشياء المدركة بالحواس . إن المكان صورة من مدركاتنا الحسية ،

وهو فوق ذلك ينظم هذه المدركات ، بصرف النظر عن المادة التي تتكون منها
(هذه المدركات)

(٢٠) المكان ليس تصورا عاما جمعت أجزاؤه منقطعة من حالات خاصة . لانا
لا نتكلم في إمكانية على وجه عام ، بل في مكان عام ، مطلق ، والمكان المطلق غير محدود ،
كل الإمكانة الخاصة بما يتضمنها المكان ، المطلق ، وما هي إلا أجزاؤه .

(٢١) ليس المكان بشيء ، أو موضوع حقيقي ، معين أو منفصل عن الأشياء
التي توجد فيه ، ولكنه حالة حقيقية يخلقها وجود الأشياء ، أو الموضوعات الخارجية
(٢٢) فينا احسبنا الأشياء الموجودة في المكان . أي أننا نفكر ، في أن الأشياء
مكونة من أجزاء خاصة ، ونعرك علاقاتها المكانية بنفس الفعل الذي نعرك به الأشياء ذاتها
(٢٣) الصورة أو الحياة عبارة عن مكان محدود محدود معروفة ، والمكان
بالضرورة أبعاد أو امتدادات ، الطول والعرض والعمق . وليس من أبعاد أخرى
يمكن أن لا توجد في هذه الأبعاد .

(٢٤) تحقيقاً لأغراض العلم ، نعرض لفكرة المكان بتعاريف وقضايا أولية
وضعت في علم الهندسة . ومنها : تعريف الزاوية القائمة ، أو تعريف الدائرة ، أو تعريف
الخطوط المتوازية ، أو القضايا الأولية الخاصة بها . ومثل القضية الأولى في أن الخطين
المتوازيين لا يتحدان مكانا . وهذه التعاريف ضرورية الاختيارية . والحاجة إلى القضايا
الأولية كالحاجة إلى التعاريف ، من أجل أن نعبّر عن الحالات التي تعرضها علينا
فكرة المكان

(٢٥) إن التعاريف والقضايا الأولية الموضوعة في علم الهندسة المبني ،
تعرض لنا بوضوح فكرة المكان . فانا تقدمنا إلى الهندسة العليا . فانا نستطيع أن
نضيف قضايا أولية أخرى مستقلة عن التعاريف والقضايا التي يقدمنا بها علم الهندسة
المبني . ومثلنا قضية أرخميدس في أن الخط المنحني الذي يصل بين نقطتين ، يكون أقل
طولا من أي خط منكسر يصل بين النقطتين مارا بالخط المنحني .

هذه صورة تعرضها من المنطق الاستقرائي الحديث . وهو منطق الحياة الغربية
التي تستمد منه مكونات العقلية الحديثة . ولا يجرم أن الشرق في استطاعه أن يتحلل
هذه العقلية لجاري الغرب من مضاير الحضارة بطرقها ، تحقيقا وعمليا ، إذا أكتب الله
على فهم هذا المنطق واستيعابه ليكون للمعرفة أساسا نفوم عليه .

السكينة

لكِ الجلالة في نفسي ، وقد عظمتُ تلك الجلالة حتى شابتُ جَبَلًا
تكو مراهقة الأعشاب حالية كرحمة الله تكو عبده أملاً

وأنتِ كالنيل يجري في وداعته بين المروج كأحلام المحيينا
يلقي على شاطئيه وهو مبسم وسائل الغصب نُحيينا ونُعيينا

يلقي عليه جمالاً من أشعة البدر في نوره ، والنجم إشعاعاً
والليل يضر هاتيك المروج وفي طياته الصمت يخفي كل ماراعاً

وأنتِ كالنجر يسو بالنفوس الى بحالي الروح ، صفو شامل فيها
كبسة الفيد تحوي في باطنها معنى من الحسن يبدو في تمامها

بل أنتِ كالقلب صاف لم تكدره مشاغل العيش ، والأحلام تقوده
أما الصفاء فيكوه جلالة نوباً من الأمن ، والامعان يجلوه

وأنتِ مثل حنان الأم قد صهرت على أبنا وهو في آلامه نارى
يساجل الدمع عينيها وقد شخّصت الى السماء ترجى البرء للذوى

وأنت كالنور في الظلام تنبسط
بل أنت كالظل تروح النفوس له
يهدى السبيل إلى السراء حيرانا
عند المجيرة تلقى الشمس نيرانا

بل أنشأ أمن مالي العيش من نعم
يلقى اليك الوردى أحلام أملاً
بل أنت أعظم تقدير وإفهام
في أن يروا راحة في ذلك السام

لما يؤوب المرجى خائباً أبداً
فروحه عن معاني الحد باحة
بل كنه السن بالشكر لا هجة
وكنه لبرود الشكر ناسجة

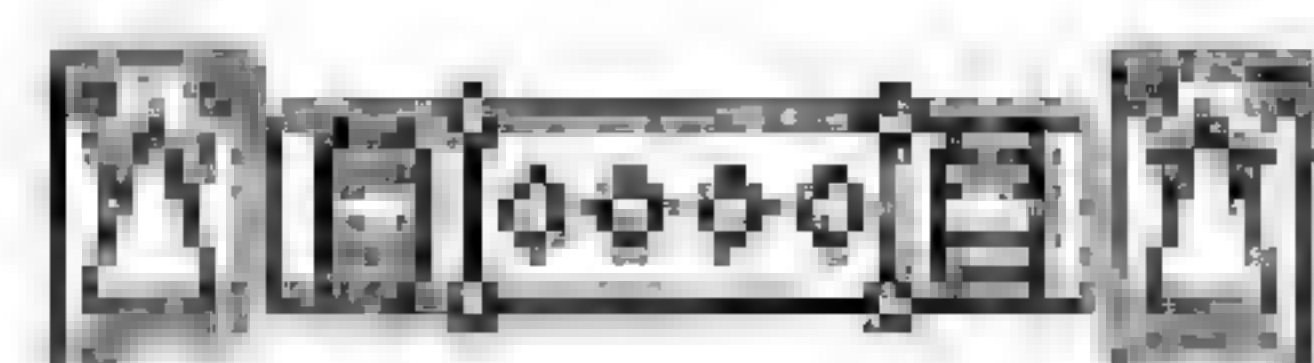
يفتني الظلام ويملأ الموج مضطرباً
وفي الطبيعة آساد إذا زادت
ويقتطف الرعد بل تنوى بنا الريح
ربحت لها جنات القلب والروح

http://www.sakhr.com

وبعد ذاك ترى غيداً قد انتشرت
نهي العرش من هذا الملك هو
في الأرض عملاًها بئساً وآمالاً
رمز الصفاء تجلّى بعد ما زالا

هي (السكينة) فليات الجميع إلى
روح من الله تسوق وداعها
ساحاتها يرتجون الأمن والراحا
تبارك الناس أجساماً وأرواحا

حين كامل الصرف



سَيِّطَانُهُ بِنْتُوَر

(المحاذنة الحادية عشرة)

قال المدهد : لما كان الغد ، ورد في الجرائد من جملة الفوائد ، أن عرابي (١) زعيم الثورة المشهورة ، والرسم الباقي من تلك الفتنة المقيور ، يصل إلى القاهرة عصر اليوم ، ويرده الزمن السكد إلى النوم . فقلت في نفسي بشي اليوم ، مضت فيه المدة على الجناية ، وختمت به فصول الرواية ، ونحن فيه ما كنا بالأمس ، أخلاق خلقه ورابطة عرقه ، وقلوب متفرقة ، وآمال بالصغار معلقة ، وغفول للباطيل مصدقة ، ونفوس إلى غير الجسد شقيقة ، نغالبها في حقائق الأشياء ، ونغدها في المداينة والرياء ، ونحملها الحسد والحقد والبغضاء ، ولا نردها إلى الصحيح اعتقاد في معاش ولا معاد . وليس الرجل في اعتقادي - بصرف النظر عن عظيم جنايته وما تحمل به القلوب من شهمة الحياة - من رجال التاريخ وأن حسب عليه ظلمه ، ولا أجد له مثلاً فيه إلا بعض المخلوقات المكرومة مما ذكر في الكتاب أو حفظ في التاريخ ، مثل هدهد سليمان وأبد لقمان ، ونحلة القرآن ، والنعام ، وبقلة أبي دلالة ، والنعاج ، والعنكبوت ، وذلك الحوت ، وأبيس المصريين ، وأوز الرومانيين ، وكيش اسماجيل ، وبقرة بني إسرائيل والغراب الذي أزال حجرة قايل ، ويوسف طبة الاسكندر ، وقيل أبرهة ، وحمار المسيح ، وثاقه صالح ، وأشي الذئب التي أرضعت رومولوس مؤسس الامبراطورية الرومانية ، وأبي قيس قرد البريد ، وأسد بن طولون ، وثعبان كلبو بازه ، وكلب أصحاب الكهف . ويؤخذ من أحاديث الناس عنه في أول أمره وما ظهر في زمن الثورة من سعيه في

(١) المصنوع - هذه القوم لها طامحات العصر الجاهل وهي أمر من أمر الحكمة الكبيرة التي كانت تدبرها السراي في عصر الخديو السابق عند عرابي أول قائل وعصر المصريين ، وحامل لول القومية المصرية في عصر السلام والبطر الأول من أبطال الاستقلال . ومن غريب أمر هذا الرجل العظيم يعني ، والشكوة الطالع يعني أيضاً أن طمع طه كرامته في مصر ، يضي في سبيلها أحد أولاده بما عرف في بعض الحاجة اليه من المال ، فلا يقرؤها إلا فترات خط نسخها الكاذم عنايا من ولده البلية كزي ولده البرور ، ولا يكتب عن هذه المذكرات إلا كتاب واحد يعرفه محرر الصور حتى المعرفة

تجسيم الشر ، وعمله على توسيع الخرق ، إن أمره مروم وأنه حاول أن يغير الحال ، وسعى لما يسمو إليه عظماء الرجال ، فخدم الأمة ثم اتخذ بها (١) ، وساق الحكومة ثم اتقى بها ، واشتد عليه الموقف فدخل فيه صغير العقل ، وخرج منه صغير النفس ، همة كبيرة صغرها الجهل ، وحسب للحرية أفدء الطمع . والرجل من هذه الوجهة لا يتخلو من فضل ولو تخرج في المدارس الحربية ، ونشأ في السياسة نشأة تلقى بالمصر الذي ظهر فيه ، ثم علق آماله بالمقبول المعقول من الأمور ، ونشأ مطالبه على الحرية المعتدلة ، ثمال بالجد كل مرام ، وبلغ مراتب الرجال العظام .

(قال) وكان موعدي مع الفرس أن نلتقى في مجلس همرو . فلما كان الاصيل خرجت الى القسطنطينية ، في ربي قيس من الاقياط ، كما سبق بذلك الاشعراط ، وأنا انتظر من الاستاذ أن يرى في (عراق) رأيه ويقول فيه كلمة ، واعلم أنه كبير الانظار في الحوادث الكبار ، نوله في الأمور الفصل ، وحكمة على الرجال العدل . فلحين بلغت مدينة ابن العاص التي فتحها للاسلام بالراي قبل الفتح بالسيف ، وافيت مقر الامارة هناك ما كان أسهل الوصول ، وأيسر الدخول ، رفعت الخيل بين عامل عمر ، وبين الزمر ، واقتدى به وجوه العرب في سلوكهم ، والناس على دين ملوكهم . فاستقبلت مجلساً ألقى بالوعظ والخطب ، منه بالملوك والامراء ، وقدمت على أمير تاجه العمامة ، ومطرقة القباء وصولجانه السيف ، وكريه التراب وحاشيته الاصحاب وقصره خيمة محدودة الاطاب ، يحيط به العرب وكأنه أحدهم . وهو زعيمهم في مصر وسيدهم . وكان الفرس بين يديه . قد سبقني اليه . وهو يبالغ للعامل في الخطاب ، ويلقى السؤال ويأخذ الجواب . فسمعتة يقول : —

« هذه دنياكم يا ابن العاص لا تفكرون بها ، ولا تحفلون بحبها ، وأنها لدنيا العقلاء .
وطيلة الحكماء . فكيف دينكم ؟ »

قال : أسهل وأيسر وأصح . الشهادة وهي كلمة ، والصلاة وهي تصدقات الزكاة وهي .

(١) العصور ساءت له خدم الامة فلا . وماله الخدم بها نعم . ولما انه ساق الحكومة نعم . ولما انه اتقى بها فلا . وهكذا اذا اخذت تعاليم على هذه النضاب الملائمة بنعم ولا ، مع الخيال الموضح الذي توهم فيه كل منها بما يطابق .
لحق انخرجت بتيجة اخرى .

رحمة ، والحج وهو الحكمة ، وما سوى ذلك فزيادة في العبادة أو بدع تأتي بها الأيام
والأغراض لا يهدأ بها جوهر الاسلام .

قال : نعمت الدنيا لو لم تزل عن الخلفاء ، وتزول الى الملوك والأمراء ، وحيداً
الدين لو سلم من عبث الفقهاء ، وعبث الجهلاء . قال : وما يمنعك أنها القيس أن
تستقبل هذه الدنيا وتدخل في هذا الدين ، قال : أنا أنع ديناً يقال فيه في جملة الدنيا به
: إيزيس لو لم تتوحدى لما كانت الأشياء . وإن تصل الى حوائى حجابك يد
الاحياء . فلم يرد اذا واحد وأن اختلفت الاسماء .

قال : أي الاديان هذا ، قال : دين المصريين القدماء . قال : عجبا أن مصر بقية
من القوم ؟ قال : ليس للظالم دين يا ابن العاص . والرومان قوم ظالمون . دخلوا هذه
البلاد فافسدوا فيها وعمدوا على أصحاب المسيح عليه السلام بزعمهم وتجردهم
وتسميهم من بيان نصرانية متين ، وركن للسياسة مكين . وغادروا مصر لا تخلو
من عاكف خاصة في سريره على دين آباءه وأجداده . وأنا من هذا الفريق . قال :
الآن انك عن عبادة الأصنام ، وأمرك بالدخول في الاسلام ، إما أن تقبل ،
وإما أن تقتل . قال : القتل أحب إليّ يا ابن العاص . ولكن لي كلمة أقولها وأرجو أن
تسمعني . قال : هات . قال : على الصليب بالدين قامت دولتا القرون الطوال ، ومن
بشدة النكس به أدركها الزوال ، قد هبت من أجل (هرو) وأمت إحدى العبر ،
ولا أكره أنا أيضا أن أذهب على الأثر .

(قال المحدث) فلم أدرك بالاستاذ إلا وقد عاد سيرته الأولى ، فإذا هو تسر يطير
بين أعين القوم ، وهم من أمره في أعظم الدهش . فلتقت به ومازلنا نتفقد الاتفاق حتى
هبطنا ناحية من القسطنطينية فمناجاة لو كنا نصيب من الأقباط ، وهناك التفت إلي
وقال : كيف وجدتني وصاحبك ؟ قلت : الآن لك وجه الامر ، وخاشن آخره . قال
بالحق خاشن ، وبالحق حاشن . لأن مقارمة الالوية فرض على نصراء العقل ، وحماة
الحقيقة ، وقد تكفل بها الاسلام لسائر الملل .

قلت قد كنت لك غني بامولاي عن الكشف له وإطلاعه على حقيقة معتقدك .
قال أردت أن أريك كيف يحفظ القوم دينهم في الكبيرة والصغيرة . قلت ماذا يرى
مولاي في عرابي وقد عاد وردة الجوارى بالنحس إلى البلاد ؟

قال كيف خلقت القوم بازاء عودته ؟ قلت تركتهم ينظرون إلى الجاني ولا

ينظرون إلى جنائنه ، ويرته أجمل الناس به ولا يهتف هو ببرائته .

قال : عجباً لكم معشر المصريين ! أنتم أمة التاريخ ، وليس لكم فيه كتاب ؟ فلا تشبهتم
بآبائكم الأولين ! فلقد كان الواحد منا أحرص الناس على حديث بعده يؤيده ، في
حجر بشيده ، وذكر مع الزمن يخلده ، في أثر يتضده .

وذن أحب الأعمال إلى ملوكنا وضع التاريخ وتدوين السير ، لعلمهم بأن
التاريخ دليل الأمم ومرشد الشعوب ، وإن قوماً لا يعرفون ماضيهم لا يكون لهم
بمخاضهم اعتناء ، ولا في آتيهم رجاء ، أليس عاراً عظيماً على الشرقيين وفيهم اليوم
العالم الذكي ، والكاتب اللامعي ، أن لا يعلموا من سيرة الأمير عبد الرحمن المتوفى
بالأمس غير ما تنقله صحف الغربيين ومجلاتهم ؟ وعليكم معشر المصريين خصوصاً
أن تظل الحوادث العراقية حتى الآن مقلوبة الحقائق ، مجهولة الدقائق ، يؤخذ الميث
فيها بذهب الحى ، وتلصق بالحى في مداراة الميث ؟ تنطقون فيها عن الهوى ، وتحكمون
على محدثيها بمقتضى الهوى ، ولو دونت حتى تدوينها لكان فيها لكباركم مزدجر ،
واصفاركم مع الأيام معتبر .

قلت : وما سألت هذا بأمولاي . ولكن سألت وأبك في عراقى ، قال : لا رأى على
فى الرجل ولما يمثله التاريخ للناس ، وإنما أسترعبك القضية لا تفوت أهل النظر ،
فى أحوال البشر ، والباحثين فى طبائع الاجتماع . قلت : وما تلك بأمولاي . قال : يدهش
الناظر المتأمل والباحث المدقق لما يرى من التفاوت البين فى الاخلاق والتباين
الظاهر فى الطباع بينكم معاصر النازلين هذا الوادى فى شمال افريقيا وبين أمة البوير
سكان الجنوب ، ويحار فلا يدرى بأى الآراء الثلاثة يأخذ وإلى أى المذاهب الثلاثة
يرجع .

أذهب مع الفاتلين بفعل البيئة فى الأمم وتأثير الاقليم فى الشعوب ، و سلطان
المقام على المقيم ، فيحكم أن جارا الميث أسد ، وجارا العير وتد ؟
أم يحارى المذاهبين الى أن اختلاف الطباع ليس الا نتيجة اختلاف
الاجناس ؟

أم يعتمد على رأى الفاتلين بأن العقل البشرى ، وهو مركز القوى المدركة فى
الانسان ، والنفس وهى مهيطة الفضائل أو الرذائل فيه ، ليستا إلا هيتين يشترك فيهما

اصناف العباد ، وأن تفرقوا في أطراف البلاد ، وإنما يصح العقل بالتعليم الصحيح وتقوم النفس بالتربية الحقة ؟

على أنني إلى هذا الرأي ألتفت أميل ، وعليه في اعتقادي الممول ، فلو أن عرابي وجماعته عرفوا القرآن عرفان كروجر وقومه للإنجيل ، فلم يخلطوا الدين والبدع ، وكلاهما عند أكثركم شرع ، أو أن عقولهم نورت بالعلم الحقيقي ونفوسهم هذبت بالتربية السليمة ، لاجتنبوا عن الثورة في أولها ، أو لسلطوا بأعراضهم في آخرها . ولكن قلة العلم وفساد التربية قعدا بهم عن مقاومة الاستبداد في آياته ، ودفعاً بهم إلى الاهتمام بشأنه ، بعد انقضاء زمانه ، وهاتان هما بلية الشرق وآفة سكانه . على أنكم اليوم لا تزالون في فضاء من أمركم ، إن شتم نهضتم ، وإن شتم رخصتم . مظالم نائمة ، وحرية قائمة ، وأفلام مآدحة لائمة . فعليكم بالعلم خذوه نافعاً رافعاً ، وانجسروا منه ما يبيت إلى ما يحى ، واحطوهم لنبا تعملون لها كأنكم تعيشون أبدأ أو لآخره تعملون لها كأنكم تموتون غداً .

وعليكم كذلك بالتربية . فأنها يابرمدينة العلم . لا تدخل إلا منه ، خذوا جميعها ولا تأخذوا فاسدها . واطلبوها لأنفسكم فإن كثرت عنها فلا ينأىكم . فإن لم تكمل لهم كملت لأبنائهم من بعدهم . وكونوا (الحفظة) الذين تكرم عليهم بلادهم في الشدة أضعاف ما تكرم عليهم في الرخاء . يكونوا بالدموع آونة . وفي القلوب آونة . لا يغفلون لها عن حرمة . ولا يقصرون لها في الخدمة . حبيهم لها العشق . لا النفات فيه إلى ملامة ، ولا قيمة معه للسلامة . أعمار الأفراد قصار ، والامم طويلة الأعمار . وآمال الواحد الفرد تفوت بموته . وآمال الجماعة لا تفوت . وإنما هي لهم مثل الورق للشجر . يتزعزع حينا ويكسأ حينا .

وما بنى قوم بناءهم في المجد ولا قامت سعادة أمة إلا على العلم والتربية . وعما انما يحصلان في المدرسة . وليس ما يمنعكم من شأنها . فإذا أنشأها غيبكم غير مصرف . ودخلها الكهل بالليل غير متكف . ولزمها الصبي بالنهار غير متكف . وأخذتم العلم فيها كما يريد زمانكم الذي أنتم مخلوقون له ان يؤخذ . فقد استقبلتم الحياة من وجهها الحق ، وأخذتم التقدم العصري بالسبب الاوثق .

واللغة رأس مال الأمة في العلم والعرفان . والدين رأس مالها في التربية والأخلاق .

فاجعلوا المحل الاول في مدارسكم لطيفين . فالتخبرات انما تأتي بقدرهما . الانسان اذا علم كان انسان العين . واذا جهل كان انسان الغابة . والعلم ان لم يتأسس بالتربية . كان لحامه محنة . وللناس فتنة . فاجمعوا بينهما في الدار . ثم في المدرسة . ثم في الحياة . تلك المدارس الثلاث الكبر .

فأما الدار فلا تذا فيها المرأة . وأما المدرسة فالمعلم فيها الرجل . وأما الحياة فالمربي فيها الزمن .

فاجتروا بالنساء فعملوهن في الصغر . يعلمنكم في الكبر . وريوهن في الطفولة . يريكن في الجولة . ولا تشنوا مدرسة واحدة للرجال الا وقد أنشأتم مدرستين أنثيين لها .

اذا اشتغل الحليم بالسفيه شارف على السفاقة . واذا اشتغل العالم بالجهول شارف على الجاهلية . وأكثر ما ينتشر السفاه والجهلاء . وأشد ما يكون افسادهم وايذاؤهم في الأمم . وهي في بداية نهضتها .

فلما عندئذ كالأنهار الكبيرة في أزمة الفيضان . تسوق الأقدار قتلاق بيارها . ويختلط الخبيث بالطيب . ثم لا تلبث أن تلفظ القاسد وتبقى الصالح . فيصلح لما . وتقبض الخمرات على البلاد والعباد . فلا يشغلن قناتكم كرامكم . ولا تلفقوا قصائر بما يحدثون بالا . واحمروا كل بما تعلم من علم أو صناعة . وانقروا العمل . فان اتقانه بقى عليه التمن والبركة . ويولد بين العاملين المتأففة والمساهة والمراحم . وعلى هذا تقوم حياة الأمم . كما تقوم حياة الافراد على دورة الدم .

ليس بين ديب الحياة في الامة وبين ظهورها كاملة الادوات . تامة الصفات الا مثل ما يتحقق فؤاد الجنين اول وهلة . ثم تمسك الحياة فيه بعضها بعضاً . وينسى بعضها بعضاً . فلا تزال به حتى تخرجه إلى الوجود . فيؤدي فيه وظيفته . ويستوفيه برهته . ولو أجد مثلاً أصف الامة اليابان . وأنها القليل حاضر . وشاهد معاصر .

على أن الحياة ربما كانت أسرع جرياً بالأمم منها بالافراد . فقد جاوز اليابانيون أطوارها الاول الى هذا السبيل المربوا الخائل البشر ببارك الاعمار في المدنية والحضارة في نحو ربع قرن من الزمن . وهي برهة قد لا تكفي الواحد من الافراد ليلغق في الصبا أملاً . أو يحسن في الحياة عملاً .

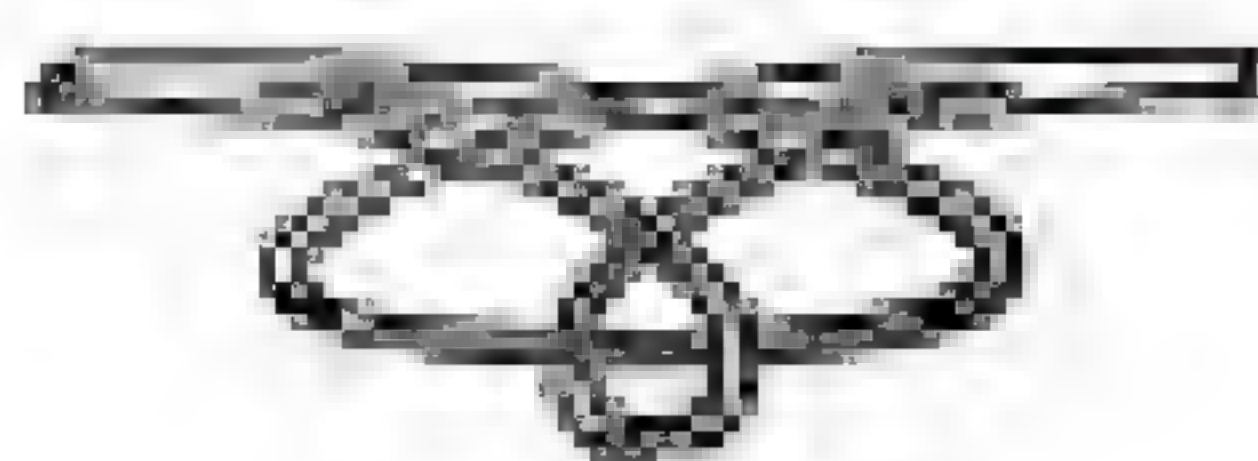
(قال المحدث) كان السر يسكنكم وكان كلامه حديث الحبيبة تأخذ بالآذان . وهو

بأخذ الوجدان ، يد أنه حكم عزز ، وحقائق كبر ، تستوجب النظر ، حتى أمسك
عن الكلام ، فوددت أنه لم يمك . وقلت له : لو غيرت باموالاي فيما أريد لما اخترت .
الا أن بعثك الله فتعنى في القوم خطياً هادياً . وخطياً مداوياً . تبع أقصى الداء .
وتصف عزير الدواء .

قال : ليكون لي ولكم شأن يوم الجمعة القاهرة . قلت : ومتى تدخلها باموالاي ؟
قال : يوم يقتل عثمان ويصير أمر العرب من الخلافة إلى الملك . فهناك انقضى يدي
من دولتهم وأصدر بك عن القسطنطين . وارد القاهرة . عاصمة مصر الحاضرة . ثم
أخذت النسر الاغمازة المعتادة فتأهب وقال كلفه المألوفة إذا جاء الليل ذهب الشياطين
وموعداً غداً دار المعجوز . وأصحابي مثل ما أصابه ، فها هي الاغمضة عين ثم ابتاهة
حتى رأيت القسطنطين وأطلالها . وحاذيت في القطار تلالها . فعجبت للحال وتحوطها .
والروح وتقلها . وأخذت في نفسي على النسر هذا الرجوع إلى الخلط في الموانعيد .
وأنا في بدار المعجوز أنشدتها ولا أنشدتها : وأهلاً بدار سيالك أعيدتها .

ARCHIVE

Digitized by Google



أقصود

سبيل الخلاص والحرية

كان فيليب جالساً في ركن ما دىء من القاعة الداخلية للقبلى تبد و عليه آثار الحزن والتأمل وهو يحدق في آلة الفوتوغرافيا الصغيرة الموضوعة امامه على الخوان حين دخل عليه صديقه جورج ، فما ان رآه على تلك الحال حتى تقدم نحوه وسحب كرسياً فجلس عليه وحيا صديقه قائلاً :

— ما لك مطرق هكذا يا فيليب وقيم تفكر .. وما هي المناظر الجديدة التي تتخيلها ؟

فرغ فيليب نظره الى صديقه وفاه بكلمات غير واضحة ، فاضطجع جورج في مقعده الى الراء وأشار الى آلة الفوتوغرافيا الموضوعة على الخوان وعاد فقال :

— اقول لك ما هي المناظر الجديدة التي تفكر فيها الآن ؟

فاجاب فيليب وهو ما يزال غارقاً في تفكيره : : شيء مؤلم جداً ..
وحضر الندى (الجرسون) فامره جورج بأحضار كاسين من الموسيقى ثم التفت الى صديقه متبسماً قائلاً :

— ارى هذه الصورة التي في يدك فتند فيليب ومد يده بالصورة الى صديقه دون ان ينبس بكلمة .. وتناول جورج الصورة وجعل يأملها بعين السرور التي تنظر بها الصديق الى منتجات صديقه .. وهي قد كانت صورة فوتوغرافية صغيرة ولكنها دقيقة ، وتظهر فيها سيدة بديعة تهم بركوب سيارة مليئة بالحقائب .. فبعد أن تأملها جورج هتبه مديده بها يعيدها الى صديقه قائلاً :

— صورة جيدة هذه يا فيليب .. أليس زوجتك ؟

فأوما فيليب ولم يحب وعلأنم الحزن لما تفارقه

واستلج جورج قائلاً :

— املك اخذت لها هذه الصورة وهي مسافرة ؟

فتدليل شديدة حجة وأجاب :

— نعم ، اخذتها لها وهي مسافرة أو بالأحرى وهي مغادرتي حيث قد افترقا

فراجع جورج قائلا :

— افترقا ؟ ! باللهول ! ! وكيف كان ذلك ؟

اجاب فيليب متأوها :

السبب كله يرجع لهذه الفئوس غرافيا (الآلة) الملعونة . . .

فرجع جورج - اجيبه مدهوشا قائلا :

— لست أفهم جيداً كيف يمكن أن يكون التصوير الفوتوغرافي سبباً في

افتراق الزوجين . . . فأرجوك زيادة الإيضاح

فاعتدل فيليب في مقعده وانحماً براءه على ركبته ويمناه على الخوان ، ولم تفارقه

تغطية جبينه وقال :

— المسألة في غاية البساطة ! ! أنت تعلم هيأني بالتصوير الفوتوغرافي واهتمت به

منذ حصلت على هذه الآلة من لحر سنتين تقريباً ، وأمسك تذكر اني ربحتها في

احدى المسابقات المشهورة التي تقام فيها الصحف والمجلات لتجذب اليها أكبر عدد

يمكن من القراء . . . فعندما ربحت هذه الآلة جعلت أؤمن على استعمالها حتى لحتى

عن كثير من اللامى الأخرى . . . ولكنها لم تلبث أن ملكت فيادى وشغلت بالي

عن كل ما عداها حتى كنت لا تفارقني ولا أفارقها إلا ساعة النوم . . .

فأوما جورج مؤمنا على كلام صديقه الذي سكت هنيهة ليستريح ثم استمر قائلاً :

— وكنت كل يوم أزداد شغفا بالتصوير الفوتوغرافي فلا أسير إلا والكاميرا

الصغيرة معي و جوبني ملائى بالصور والأفلام حتى لا يفوتني التقاط أى منظر

أرى أن أسجله ، وكنت أصور في اليوم الواحد عشرات الصور ، وأصبح شغفى

بالتصوير طبيعة ثابتة في نفسى حتى لقد كنت ألتقط بعض المناظر دون أن أفكر في

التقاطها . . . وفي الوقت الذي لا أصور فيه أكون مشتغلا بتحبيص الأفلام

أو إظهارها وطبعها ، فلم أجد أعمل شيئاً أو أفكر في شيء إلا التصوير الذى ملائ

حياتى كلها . . .

تقاطعه صديقه : ، أظن أن زوجتك قد اعترضت على ذلك ؟ ،

اجاب فيليب مبتسماً : ، نعم ، لقد كانت تعترض وتحتاج وتوسل إلى المرة بعد

التعليم في مصر

الحاجة الى اصلاحه عاجلا

« وسوالى حكومتى عنايتها باصلاح نظام التعليم العام والتعليم
« اتقى من صناعى وزراعى وتجارى يسائر حاجات البلاد فى
« نهضتها العامة (من خطاب العرش فى ١١ شهر يناير
« سنة ١٩٣٠)

حول تقرير السيد Mr. F.O.Mann الخبير الذى اصبحت الحكومة المصرية لتخص نظام التعليم
فى مصر وقد قدم تقريره فى شهر نوفمبر الماضى

لا ريب أن التعليم فى مصر من أهم المسائل التى تواجه الحكومة الحاضرة وما
قد يلها من حكومات إذ هو فى الحق إما أن يكون عللا قويا لخيرها (أى خير مصر) وإما —
لا قدر الله — معولا قاسيا فى خرابها ودمارها

ومع أن مصر قد تصل الى عقد معاهدة مع إنجلترا تضمن بها استقلالها ، فإنها
لن تستطيع المحافظة على هذا الاستقلال إلا اذا أصححت أساس التعليم فيها لينسج لها
أن تسترق حاجتها من " عقول لبيا أشوة بغيرها " من الأمم المتقدمة التى تجد فى
عقول أبنائها ما يغنيا عن حماس العون من أبناء أمة أخرى مما يشعر الأمة المتقدمة
بالصغار والانعطاط عن تلك الأمة الأخرى التى تقدم لها المعونة .

والمصريون يدركون هذه الحقائق ادراكا تاما تجلى أثره مرارا وتكرارا على
صفحات الصحف وعلى ألسنة الناس حتى فى أشد الايام حلكة عندما كان الامر
والهى فى وزارة المعارف — لا بل فى ذلّة الوزارات والمصالح — المروءاء
الانجليز . فكنت لا تقا تسمع النذر من كل جانب من سياسة دنلوب التعليمية
التي لم يكن يقصد بها الا اخراج أنصاف أو أرباع متعلمين لا هم لهم إلا التبرع فى
وظائف الحكومة يحركهم الرؤساء الانجليز كما يحرك لاعب الشطرنج قطعه . . .
ولم من صيحات على صفحات الصحف ومن فوق المنابر نادت بوجوب اصلاح
التعليم فذهب مع الرياح ١١ ولكننا الآن نجتاز مرحلة لانغالى إذا وصفناها بأنها
شائكة ، لا ينبجنا منها إلا أن نتحرز من الاصطدام بأشوا كما حتى نقف مرفوعى
الروس . وهذا لن يكون إلا باصلاح التعليم

ولقد اتحدت وزارة المعارف العمومية في العام الماضي مسترمان لفحص نظام التعليم الابتدائي والثوري والفنى والصناعى والمعلمين ، فقضى هذا الخير نحو عام بحث و يفحص ويدقق ثم قدم تقريره فيها يقرب من ١٤٠ صفحة كلها ناطقة بعدم صلاحية نظام التعليم الحالى منادية بوجوب اصلاحه و لياير حاجات البلاد من نهضتها العامة ، (خطاب العرش)

ومما لفت اليه التقرير النظر بوجه خاص أن المدارس التى تسير على نهج الطريقة الأوروبية سواء كانت ابتدائية أو ثانوية تولى اهتمامها إن لم يكن كله نحو النجاح أكبر عدد ممكن من التلاميذ في الثلاثة الامتحانات العامة التى تقبها وزارة المعارف فى كل عام للتلاميذ المدارس الابتدائية والثانوية ، ثم أشار إلى الأهمية الكبرى التى يعلقونها — التلاميذ وآبائهم — على احراز الشهادات إلى حد أن النجاح أو الفشل فى احرازها لأول مرة فى دخول الامتحانات العامة ، يقضى صفة ملازمة للنجاح أو الفشل طوال حياته : فيقال دائما إن فلانا نجح فى جميع الامتحانات بغير فشل ولا سنة واحدة ، أو فشل فلان فى امتحان كذا ، ولنا بعد ولإبلا على تأثر الجماهير بهذه الظاهرة أقوى مما تشتهر الصحف عقب ظهور نتائج الامتحانات العامة من أخبار انتحار التلاميذ الذين لم يجوزوها ، ومن رأى مسترمان أن نتيجة ذلك هى أن الآباء المصريين يترسمون خطى آلهة التعليم الزائف ، ثم تذهب الجماهير حاملة على الحكومة منادية بوجوب زيادة الفصول والاماكن فى المدارس الثانوية أكثر من حملهم عليها لزيادة المحلات فى المدارس الابتدائية ، وحجتهم فى ذلك أن الطالب يجب أن يداوم على الدرس والتحصيل بسرعة حتى يتكون لديه المحصول الكافى ، وقبل أن ينساه ، ليجوز الامتحانات . فتكون النتيجة أنه بدلا من أن يعم التعليم جميع أبناء الأمة يصبح قاصرا على فئة قليلة من خريجي المدارس الثانوية

ومما لاحظته مسترمان أن نفقات التعليم العالى فى مصر تزيد كثيرا على نفقات التعليم الابتدائى ، وذكر على سبيل المقارنة أن إنجلترا — وهى أمة صناعية وأكثرا حاجة إلى التعليم العالى — تنفق عليه جنبا واحدا مقابل كل أربعة جنبيات تنفقها على التعليم الابتدائى بينما إنما تنفقه مصر هرجنيه واحد على التعليم الابتدائى مقابل كل جنبيين تنفقهما على

التعليم العالي ، بل إن ميزانية سنة ١٩٢٤ - ١٩٢٥ التي بلغت ما أنفق منها على التعليم بأنواعه مليونان ونصف المليون من الجنيهات لم يتفق منها على التعليم الابتدائي إلا خمس (جزء من خمسة) هذا المبلغ ، ويرى مستر مان أن المدارس الابتدائية يجب أن تقع لمليون ونصف مليون طالب وهي لا تسع في الوقت الحاضر أكثر من ٥٣١ ر ٥٣١ . إن حاجتنا إلى انتشار التعليم الابتدائي أشد ما نكون في الوقت

الذي أصبح نظام حكومة مصر فيه ديموقراطياً نيابياً على أساس الانتخاب المباشر ولم يستمر مان ما صنع المصريون منه بالشكوى منذ أعوام طويلة . قد ذكر أن التعليم الثانوي الذي تطمح إليه أنظار الطلاب الذين يجوزون مرحلة التعليم الابتدائي يعتبره هؤلاء الطلاب وسيلة للدخول في خدمة الحكومة التي هي غاية ما يؤمل فيه أكثرهم ، والسبب في الميل لخدمة الحكومة وتفضيلها على سواها ، هو الضمان الذي يشعر به موظف الحكومة بكونه لا يضطر إلى الكفاح والمنافسة اللازمتين في غير وظائفها

وهنا يحمل مستر مان على نظام التعليم الأوروبي حجة تسخروا إذ يقول : « نعمة كثير من المصريين بعمود أثاء الصعود الشاق إلى المناصب الرفيعة ، وهذا هو تاج الطريقة الأوروبية التي تقلد في كل عام عدداً متزايداً منهم فترة كم البقايا فوق بعضها من حطام كانوا تلاميذاً فأصبحوا عاجزين عن مواصلة السير بالحياة في الطريق التي حيأوا أنفسهم لها في الصغر (باعتبار أنها تنتهي بهم إلى الوظيفة الحكومية) كما أصبحوا من الجهة الأخرى عاجزين عن أن يجدوا عملاً يتفق مع آمالهم ورغبتهم - سواء كان من ناحية الكرامة أو من حيث المرتب - خارجاً عن نطاق الوظائف الحكومية . . . فالتشكك الاجتماعي والسياسي اللتان تنبعان عن هذه الحالة - قدان بخطر عظيم لا سيما في المذنب الكبيرة في القطر المصري . أضف إلى هذا أن الوالد المصري ، الذي يقضي عدداً من السنين منكراً على نفسه كل منافع في الحياة ليحسن مستقبل ابنه بواسطة المدارس ، فلا يلبث أن يجد علة عليه ، حقيق بأن يرى له ، حري بأن يكون عبءاً لآباء المستقبل . »

وانتقل مستر مان بعد ذلك إلى الكلام في توسيع برنامج التعليم بإضافة مواد

جديدة الى المواد الكثيرة التي تدور في المدارس الابتدائية والثانوية ، فصرح بأنه يرى أن
ولاية الأمور المصريين لم يعنوا بالبحث بدقة عما اذا كان التلاميذ المصريون يسيغون تلك
المواد الاضافية ، فترتب على ذلك أن زادت نفقات التعليم لتخرج فئة هي ، تخصص في
الحقوق ، وحول على الاكتاف بدلا من أن تكون عوناً للبلاد وعضداً لها .

التعليم الصناعي

وعندنا عدا المدارس الثانوية - التي ينجه التعليم فيها إلى تقيف العقول تقيفاً
أدياً وعلياً - المدارس الصناعية التي قد يظن أنها تخرج شيأاً صالحاً لمزاولة
الاعمال الحرة . . . أليس من أعجب العجب أنه حتى خريجي تلك المدارس يتطلعون
إلى خدمة الحكومة كأنها الغاية القصوى التي تطمح اليها ألاملم ١٩ فهم لا يحتفظون
في هذا عن أترابهم خريجي المدارس الثانوية ، كلاهما لا يطمئن إلى الاعتماد على
نفسه في الاعمال الحرة بل يظهر أنها تلقى الرعب في فؤاده

ويقول المستر هان إن نتيجة ذلك هي انعدام الجو الصناعي في مصر إذ ، أن
الصانع الذي لا يستطيع أن يخرج عملاً صناعياً يعود ببيع قهقاري مناسب لا يقبل
على استخدامه مصنع يربو أن يبقى بعيداً عن محاكم الاقلاص ، والمدارس الصناعية
في مصر لا تفي بخرجيها وفق مطالب المصانع الحرة وحاجتها من السرعة والدقة
في العمل . . أضف إلى هذا أن خريج المدرسة الصناعية في مصر يردى نظام
العمل تحت الاختبار مبدئياً - بعد خروجه من المدرسة حاملاً الشهادة - حتى
بعد فقه للنافذة في الصانع الحرة ، مع أن هناك صناعات غير متعلمين ولكنهم قد
اكتسبوا براصة الخبرة وحدها دراية في عملهم تفوق دراية خريجي المدارس
الصناعية . . على أن ما هو أدهى وأمر هو أن المدارس الصناعية عندنا تدخل
في العطاءات التي تعلن عنها بعض مصالح الحكومة متقدمة في المناقصات بأسعار أقل
بكثير من الاسعار التي تقبل بها المصانع الحرة ؛ ثم تقوم بالعمل بنفقات أكثر بكثير
من قيمة العطاء المقدم في المناقصة ١١ فينا هي ترمى إلى تدريب تلاميذها على
الصناعات المطلوبة من جهة إذا بها من الجانب الآخر تلقنهم أسوأ مبادئ الاقتصاد
حتى إذا قضوا مدة التعليم وتخرجوا منها لم يجدوا من يقبل خدمتهم سوى بعض

المصالح الحكومية . . أما الصنائع الحرة فأنهم يصبحون حراً عليها بدلا من أن يكونوا عبيدا لها

ثم ما قولك في أن احصاء التلاميذ في العام الماضي تبين منه أن هناك ٦١٣١ طالبا في المدارس الصناعية و ١٠٦٧ طالبا في المدارس التجارية بينما أنه بالرغم من أن مصر بلد زراعي أولا وقبل كل شيء ، فليس في مدارسها الزراعية المتوسطة سوى ٦١٦ طالبا ١٤

ليضع القارئ هنا ما شاء من علامات استفهام وتعجب . . .

مدارس المعلمين :

أما مدارس المعلمين عندنا بمختلف درجاتها وأنواعها فمن رأى مستر من أن الغذاء العقلي الذي تقدمه لطلبتها لا يسمن ولا يغني من جوع ، وإذا عجب إذا كانت الدروس التي يلقونها تحريجو تلك المدارس على الطلبة تقابل من هؤلاء بالضجر والمبال بل بالتكراهة ، وماذا ينتظر من مدرسين - أو حتى ناظر مدرسة - يتقاضى راتبا أقل من رواتب كثير من الخدم في الثيرونات الكبيرة ، أليس من أكبر دواعي انحطاط مستوى الطلبة عندما أنهم يتفوقون العلم على أيدي أمثال أولئك المدرسين الجامعين ؟ ويقول مسترمان في وصفهم أنهم إذ يتخطون دور الطفولة والمدراسة إلى دور الحياة العملية لا يكافون أنفسهم مشقة التفكير في أعمالهم بل ، يقولون في انتظار تعليمات رؤسائهم لتأدية واجباتهم كما تنتظر أرض مصر شهر إبريل من كل سنة ليجود عليها النيل بمائه فيخضب تربتها ، وما ذلك إلا لأن التلاميذ عندنا ، لا يمرنون التحرين السكاني على الملاحظة والتأمل ، ولا يقومون بعمل الاختبارات بأنفسهم ليتدربوا على الابتكار مع أن هاتين المسألتين أهم بكثير من جلوسهم الساعات الطوال منصتين للدروس التي تلقى عليهم ، فأنهم خصب مسندة ، إذ أنه لا شك أن هذه الطريقة - مهما نحن الدروس معدة بأقصى غاية - تربهم على الخمول ، وتفقدتهم حب البحث والتفكير فيهم أحوال العالم اكتفاء بما يصل إليهم على أيدي معلمهم أولا ثم على أيدي رؤسائهم فيما بعده

وزارة المعارف

ويشير مسترمان في تقريره الى انه كان يجب على وزارة المعارف أن تسير بنظام يبروقراطي في أول مرحلة من مراحل تعميم التعليم ثم تتطور بعد ذلك الى نظام اللامركزية فيختص كل قسم منها بالاشراف على الفرع التابع له من مختلف أنواع التعليم العلي والادبي والتجاري والزراعي والصناعي ، أما أن يسير التعليم في جميع أنحاء القطر على ونبرة واحدة وطبقاً لبرنامج معلوم فإنه يؤدي الى تخريج نوع واحد من المتعلمين ، حال ان الامم لا ترقى إلا بتنوع تعليم ابنائها وتخصص كل فريق منهم في هذا الفرع أو ذاك . يقول مسترمان : أنت التلميذ البدوي في المدرسة الابتدائية في الصحراء يتلقى نفس البرنامج من المعلوم الذي يتلقاه زميله الطالب في المدرسة الابتدائية الواقعة في أشد الاحياء تفرنجاً في القاهرة والاسكندرية . لا فرق مطلقاً بين التعليم في الريف وبينه في المدن . ولا شبهة أن هذا اسوأ استعمال للتعليم بالطريقة الاوربية . ومن الواجب على مجالس المديرية أن يعنى كل منها بالاشراف على شؤون التعليم الابتدائي في مديريته . وتبقى القاهرة والاسكندرية مركزين للإرشاد والاشراف العام وللمجامعات العليا يخرج منها من يظهر عليه الاستعداد لمواصلة التعليم حتى مرحلة الأخيرة .

ولما كان العمل متراكمًا في وزارة المعارف فأنها رأت تخفيفاً لوظائفه ان توحد برامج التعليم الى حد أنها جعلت برنامج تعليم البنات مطابقاً تمام المطابقة لبرنامج تعليم البنين على ما في هذه النظرية من خطأ ظاهر إذ أن البنات يجب أن يتعلمن الخطاطة وما اليها من الاعمال المنزلية التي يتوقف على درايتهن بها وحذقهن لها صلاح البيت وهو اذا صلح صلحت الامة بأمرها

مسألة اللغة : وقد عني المسترمان في قسم كبير من تقريره بمسألة اللغة عناية خاصة

فقال أن الطفل المصري يسمع ويتكلم في البيت والشارع بل وفي المدرسة ذاتها لغة غير التي يكتبها ويدعم بها ، والسبب في هذا هو أن اللغة العامة - أو العامية - لا ضابط لها من قواعد نحو أو صرف فضلاً عن أنها تختلف اختلافاً بيناً عن اللغة العربية الفصحى التي هي لغة الكتب والصحف والخطابة . فينشأ من ذلك أن يجد الطالب

تفه مضطرا فوق دراسة اللغتين الانجليزية والفرنسية أو احداها الى دراسة لغة أخرى هي اللغة الرسمية لبلاده

وفي الحق أن مسألة اللغة في مصر — كما هي في بلدان أخرى — أصبحت من أهم المعضلات التي تشغل أذهان المفكرين حيث أن الخلاف بين لغة التخاطب ولغة الكتابة يؤدي حتما إلى اجهاد العقول بالتفكير في وسائل التعبير يفهما المتعلمون تعليما عاليا والاقبل منهم درجة أو درجات حتى يستفيد كل قارئ الفائدة المرجوة من كد القرائح وثمرات العقول في الموضوع ذاته لا في اللغة لا غير ، ولا مشاحة في أن اضطراب الانسان للتخاطب بلغة غير التي يستعملها في الكتابة يؤدي إلى ضعفه — نسبيا — في اللغتين ، وذلك بعكس ما اذا كانت هناك لغة واحدة للتخاطب والكتابة معا فيصبح الكاتب قادراً على التعبير في أي موضوع بلغة يفهما القارئ كما يفهما التخاطب (بفتح الطاء) فتكون الافادة والاستفادة أهم وأمرح مما هي الآن حيث تختلف كل من اللغتين عن الأخرى اختلافا كبيرا إلى حد أنه يصعب الجمع بينهما فيجهد الكاتب والمتكلم نفسيهما في أحيان كثيرة جهدا شاقا للتعبير عن معنى من المعاني قد يصرفانها عن أصل الفكرة أو يضعف تفكيرهما فيها فتتأخر الفائدة المرجوة من الكتابة أو الخطابة بقدر ما يصرف من الجهد في الوصول إلى تعبير عربي صحيح أو عالمي دارج لإيصال الفائدة إلى القارئ أو المستمع

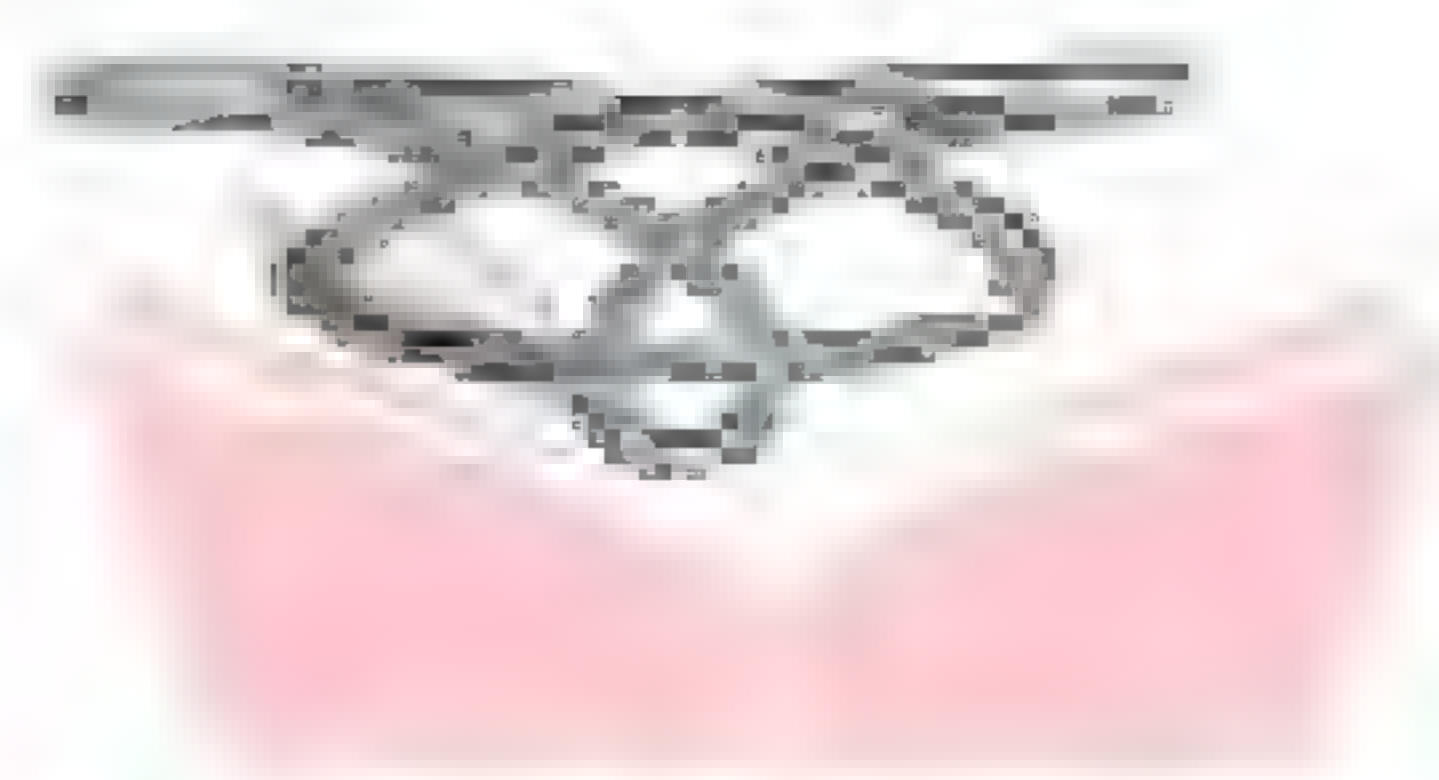
ولا نكران أن الافكار في مصر متجهة نحو تعميم استعمال اللغة العربية الفصحى في التخاطب والتعامل والكتابة على السواء ، وهذا لو تم فانه ولا شك يحىء بنتائج حسنة ويحقق رغبة المصلحين ويساعد مساعدة جديفة على سرعة انتشار الثقافة والحضارة ؛ لكن دون ذلك التعميم مصاعب ومناعب جمة . لذلك يرى مستر مان أن تؤلف لجنة خاصة يناط بها وضع قواعد للتقريب بين اللغتين جهد الطاقة لأنه يكاد يكون من المستحيل تعميم اللغة العامية — وهي لغة التخاطب — إذ أن اللغة الفصحى تحمل بين طياتها ثروات طائلة يعتبر ضياعها خسارة فادحة ليس من السهل تعويضها

أما تدريس اللغات الأجنبية في المدارس المصرية فقد لاحظ مستر مان أن المدرسين المصريين الذين يقومون بتدريس اللغة الانجليزية غير تخيرين بأصول النطق بها ،

كما لاحظ أن هناك إفراطا كثيرا في تدريس روايات شكسبير وهذه وإن لم يكن ثمة أدنى شك في نفاستها فإن صعوبتها تزيد في العناء الذي يقاسيه الطلبة، وربما كان الأفضل أن يترك درس أمثال هذه المقطوعات العالية في الأدب للاستعداد الشخصي الذي يكون لدى هذا الطالب أو ذاك

خاتمة

وختم مستر مان تقريره بالإشارة إلى وفرة المواد التي تحتوى عليها برامج التعليم ويرى أن ذلك الإفراط من شأنه أن يقوى الفكرة على حساب الذكاء. فأملنا أن تسارع حكومة الشعب الحاضرة بإصلاح نظم التعليم فتؤدي بذلك جل خدمة لمصر تساعدنا على تحقيق استقلالها



ARCHIVE
ظهر حديثاً

كتاب

الأدب الحى

تأليف

إبراهيم المصيرى

مجموعة مقالات وابتحاث في الأدب والتقدم مذبلة بقصة و دراما مسرحية . وتطلب من جميع المكتاتب وخاصة مكتبة الوفدياب اللوق لصاحبها محمد محمود

المتهم البريء أو اللص الخفي

في يوم ٢٦ نوفمبر سنة ١٩١٧ بينما كان أحمد يسير في الشارع صباحاً في محاذاة إحدى البيوتات إذا بنفس عليه اثنان من رجال العسس قابضاً عليه بشدة قائلين (وقعت يا ملامون انت عذبتنا وهو متنا انتشر شهر واحداً بنجري وراك وانت تعمل كل عمله واختها ايس استنا!!)

بهت أحمد هذه المفاجأة الغريبة ونظر اليهما بدهشة قائلاً: ماذا تبغيان؟ قال هذا وهما قد بدا يكبلانه بالحديد وكان قد ظن الامر مجرد شبهة لانابك ان تظهر من ورائها الحقيقة ولكنهما تناديا واستغرا بالسيارة الحديدية بالقوة وهو يداقم ويهدد ويرعد ولا من يجيب وقد حضر لساندهما رجل الشرطة وتم لهم ما أرادوا وبدأوا يحرقونه الى القسم فلم ير بدا من مسايرتهم وملاحقتهم حتى يقف على سبب ذلك ولكنه كان يحاول شيئاً اذ كان ظناً سأل أحدهم لا يحية الا بنظره استهتار وسخرية قائلاً: بقى انت مش عارف؟ وأخيراً وصلوا الى مركز البوليس فأوردوه الحجز ريثما يتفنون الامر للتحقيق وبعد ساعة ذاق فيها أحمد مر العذاب لتلك المباغلة الغريبة وذلك الحال الذي لم يكن له به عهد من قبل حضر المحقق وبدأ يسأله ويحقق معه في أربع حوارات سرقة في المنزل الذي وجد أمامه صباح اليوم وبعد ساعات قضاها المحقق مع أحمد في حوار لم ينل منه شيئاً اذ كان جواب أحمد في جميعها استغراباً ودهشة ونقياً بشدة شأن من ليس له عهد بمثل هذه ومن لم يقترف مثل ذلك مطلقاً - أقفل المحقق المحضر ورد أحمد الى السجن ريثما يتم التحقيق.

في المنزل المجاور لبيت احمد

في إحدى غرفه جلس اثنان الى بعضهما القرفصاء وجرى بينهما الجوار الآتي :-

- لقد قبض عليه اليوم وسوف يحاكم ويحكم عليه بالسجن فيدخلونا الجو
بتلك القفصاء حيث نوحها بسيننا في خلاصه حتى تنلهى عنه ونكون قد كبنا
المسألة بما وقع في أيدينا من هذه النقائس القيمة ، وليس علينا إلا أن نخري
بعض أصدقائنا لاداء شهادة قيمة ضده كي تتم المسألة على مايرام .

فرد عليه الآخر قائلاً :- وما الذي تراه في هذا الخاتم الغريب الذي
لاستطيع يعه لانه معروف ؟

- لا ، لا تخف ، ستسئ المسألة ونبيعه في غفلة بأي ثمن ، فان الذي نربحه
من وراثته فائدة .

فرد عليه الآخر في فرح وسرور لا ، لا ، الرأي عندي أن تقدمه لها كهدية
حتى اذا ما وقع في يدها يكون من ضمن الادلة على ثبوت التهمة ضد زوجها ،
هذا وبخاصة لو أفهمناها أنه من عند زوجها دليل على ارتياحه لزيارتنا لها
فأجاب قائلاً :- ه براهو يا عم سرور والله عال !!

احمد في السجن

جلس احمد حزينا كئيباً لا يدري ماذا أصابه ومن أين وقعت هذه المصيبة
وما الذي يعمله والمحقق لا يريد أن يقبل منه إلا اعترافاً ولو بالباطل . وأخذ
الحديث الى التفكير فيمن يكون السبب في ذلك فدار بخلفه أن يكون ذلك من
طريق الصدفة فقط ، ولكنه جمع شارد فكره فتذكر أنه كانت له علاقة
بشخصين جمعتهم بهما صدقة سيئة وانه وجد في أخلاقهما شراسة وخسة
خصوصاً وانهما ظهرا بعد ذلك بمنتهى الفحشة والاستهتار ، وانهما كانا

يقين به شراً في زوجته فاهنهما وقطع علاقته معهما وكانت
 يعلم أنهما قد يأتیان السرقة !! فتيقن أن مصيبته ليست إلا من
 هذه الجهة ، وزادت آلامه لعله أنهما سيرتكان ضد زوجته ما كان يحشاء .
 ظلت هذه الهواجس وتلك الأفكار تقاتله في كل لحظة وحين وهو تارة يبكي
 وآثا يتظلم لمن يباه ويستغيث ؛ ولكن أنى لحراس جهنم أن يصفوا لصوت
 الرحمة أو يلبوا نداء الإنسانية ؟! ليت على تلك الحال خمسة عشر يوماً وهو في كل
 يوم يدعو السجن لمقابلة المحقق حتى إذا ما مثل بين يديه فاجأه المحقق بالاستئـ
 غيب عنها بالنفي ، ووجه التفاته الى بعض أشياء يريد أن يدلي بها فلا يأبه له
 ولا يلتفت لكلامه . وأخيراً أقفل التحقيق على بعض اجابات كان يرى المحقق
 أن فيها اعترافاً ضمناً وأرسلت الاوراق الى المحكمة لحاكمة النهم في يوم ٢٠
 ديسمبر سنة ١٩١٧ أمام قاضي الاحالة **توطئة** تقدمه لمحكمة الجنايات

ARCHIVE

في منزل احمد

http://www.KitaboSunnat.com

في صباح اليوم السادس من القبض على أحمد طرق الباب على زوجته ،
 وكانت قد علت بالامر من جهة المحل الذي كان يشتغل فيه . وهو قد كان يشغل
 وظيفة كاتب باحدى المحال التجارية الكبرى ، فسألت من الطارق ؟ فرد عليها
 صوت فائلاً أنا من قبل احمد افندي ، ففتحت الباب بتلف ، إذ كانت تحب زوجها
 كثير أشأن الوفية لزوجها ، فإذا ذلك الرجل الذي كانت تعلم سابقاً أن بينه وبين زوجها
 صداقة اذ لم يكن أحمد قد أخبرها بما كان بينهما بعد ذلك .

فبادرها التحية فردت عليه بحياء وحزن وقالت ماذا ورايك فقال وان احمد
 افندي في خير وسلام وان مسأله سهلة ومنتظر الافراج عنه قريباً ولكنه
 أرسلني لاسألك اذا كنت في حاجة الى شيء أخبره فيرسله لك . فأجابت بعدأنة
 عميقة : لا أريد شيئاً إلا إطلاق سراحه فهو يرى كما يعلم الله .

فقال لها في شيء من التحكك لا تحزني فقريا يكون ذلك ولكن على كل حال اذا كان لك طلب فانا على استعداد لتقديمه فحينئذ تعلمين أصدقاء واني أقدم لك هذا الجنيه ريثما نرى ماذا يكون من أمره فترددت في أخذه ولكنها لعلمها انه صديق زوجها خصوصا وقد فارقها زوجها آخر الشهر وقد حجز مرتبه تقبلته باخلاص وحسن نية شاكرة

الا أن المجرم الخبيث اتخذ من ذلك وسيلة لزيارة المنزل لمناسبة ولغير مناسبة وصار يتردد على المنزل كثيرا ويقابل في كل مرة برفض كل اقتراحاته من تقديم نقود بدعوى انها مرسلة من زوجها واخرى بارسال هدايا الى غير ذلك مما أكد عندها سوء نية وخبيث فعالة حتى انه في ذات مرة وكانت دائما تحاطبه من وراء حجاب اخبرها انه سيشتري لها خاتما ذكر لها أوصافه وانه سيقدمه لها سواء راضته أم قبلته لانه يعمل كل ذلك لأرضاء ضميره ووفاء بما كان يقوم به زوجها نحو من خدمات

بين المهمل وزوجته

الى أن مضى على ذلك الحال أكثر من شهرين ونصف ذاق المسكين فيها في سجنه ظلمة الليل وعذاب الجحيم صنوفا وألوانا، ورأت فيها المسكينة زوجها الذل والهوان على اقبح ما يكون وكان قد حوكم أمام محكمة الاحالة وحكمت عليه رغم صيحاته المتكررة وندائاته الواجعة بتحويله الى محكمة الجنايات لدور فبراير.

وقيل بدء المحاكمة بأيام وبعد رجاءات متكررة ولاي وعناء قبل رجاء الزوجة في زيارة زوجها وفعلا قابلت الزوجة زوجها ومالك لهما والاسير البريء المعذب وتاهيك بما وقع من بكاء ونحيب وتوجع وتمنى الخلاص من هذه التهمة ثم بدأت تقص عليه حكاية ذلك الذل السافل (خاطر) الذي كان يتردد عليها بالزيارة وما تقدم به اليها وغير ذلك من الحكايات كان في أثناءها المسكين يكاد

يتميز من الغيظ الى أن أخبرته عن مسألة هديته لها الأخيرة وهي الخاتم الذي وعدّها به رغما عنها فسلّاها زوجها عن وصف ذلك الخاتم فذكرت له الاوصاف التي قالها لذلك المجرم الاثم : فغضب يده أسفا وقال : يسرق المجرم ويسجنني في سرقته ! انه الخاتم . . . اسمي انا المخطئ . ليس بي وبين هذا المجرم الاكل عدل . لقد تحككت في أول الامر وانا عرفت انه سافل وأنه يقصدني وإياك بسوء طردته شر طردة وما أردت أن أخبرك بذلك لاني لم أكن اعلم بشيء من هذا ، وان المسألة اتى منهم بأربع حوادث سرقة وان هذا الخاتم من ضمنها وحيث أنه عمل ذلك فاسمى ما سأقوله جيدا واعمل به . عقب خروجك اذهبي الى مركز البوليس وقابلي المأمور بنفسه واسردي عليه المسألة بمخاطبتها واعلمي بما يأمرك به من الاوامر لعلمهم يقبضون عليه متلبسا بجريئته ويظهر العدل وينال الاثم جزاءه وافيا . فاطمأنت المسكينة لذلك وخرجت من عنده قاصدة ادارة الامن حيث المأمور فقابلته وقصت عليه المسألة بتأنيها وان زوجها يعاقب ألم السجن لغير ما ذنب أو إثم اشياءا لرعية الفسقة المجرمين الذين لا يرعون في الله إلا ولا ذمة ، فهم في ضلالهم يعمهون ، وما زاد المأمور يسمع بذلك وبخاصة عندما ذكرت له ما وعدّها به من أمر الخاتم حتى اهتم بالامر واخبرها أنه سيرسل بعضا من رجاله يخطفون في المنزل وينظرون ما يجري واذا جاء ذلك الشخص تجمعته بتقديم اليها بما يريد فالتلت لذلك وما عثم أن يحضر لديها اثنان من رجال الشرطة مخطفين فادخلتهما في حجرة مجاورة وكان ذلك الملعون قد زارها بعد زيارتها لزوجها فقابلته بنوع من البشر فتقدم اذ لم يعلم انها قابلت زوجها وعرفت كل شيء وعدّها بأنه أمر الصائغ أن يصنع لها الخاتم على هذا الشكل خاصة وأن بينه وبين الصائغ ميعادا اليوم سيأخذ منه ويحضره لها : فأجابته ببعض البشاشة (لا بأس) فاطمأن الى ذلك وذهب وقد كان في أثره بعض الرجال السريين حيث علموا مكن الاشياء

المسروقة التي لم تكن بيعت حتى الآن. لحمل الخاتم وطار على جناح السرعة ليقدّمه اليها ودخل المنزل وأراد أن يدّعيها مقدّما (عربونا) للخاتم ولكنها أبت إلا أن يسلمها الخاتم أولا، وبينما هو يسلمه لها إذ انقضّ عليه الخفّيان فقبضا عليه متلبسا بجريته وكبل بالأغلال وسبق إلى التحقيق، وكان في أثناء ذلك قد ذهب بعض رجال الشرطة لمهاجمة منزله والتفتيش فيه وفعلوا عمروا على معظم السرقات وفتح له محضر التحقيق

أمام قاضي الجنايات

عقدت جلسة الجنايات لدور فبراير وجاء دور قضية أحمد فتودي في قفص الاتهام وبتدعى في استجوابه ومناقشته، وبينما الرئيس يسأله إذ حضر بعض رجال الأمن يحمل بريدا مستعجلا للرئيس فلم ير الرئيس بدا من فضه وقرأته ما دام جوابا إداريا وفعلوا فضه فوجد به ما يأتي بعد الديباجة : —
عشر اليوم رجال الإدارة والأمن على المسروقات في بيت رجل يدعى خاطر وقد قبضوا عليه أثناء تلبسه بجريته انتهاك حرمة منزل أحمد الذي يحاكم اليوم بالمحكمة رياستكم ويقدم إلى زوجته خاتما من المسروقات هدية والآن بما أنه رهن المحاكمة فحرصا على مصلحة التحقيق نرجو إيقاف محاكمة المتهم أحمد . . . حتى يتم التحقيق مع هؤلاء .

فاتّسع الرئيس بذلك وأمر بإرجاع المتهم إلى السجن، وبينما هو يضع هذه الإفادة بدوسيه القضية إذ وقع نظره على اسم خاطر . . . فجأة فقرأ الورقة التي فيها هذا الاسم فعلم أنها ورقة مقدمة إلى النيابة منه ضد المتهم أحمد بالقبض عليها لسرقته هذه السرقات جميعها فتبين له أن لا بد في الأمر من سر . . . ورد بالأوراق لأجراء التحقيق

المرأة

وأجرى التحقيق مع المتهم الثاني فاعترف بكل ما جرى تحت تأثير العدل

والقسطاس المستقيم . وكذا اعترف عن شركائه في الجريمة وشهدت شهود الالبات
بصحة ذلك واعترف جميع المتهمين بجرائمهم ، ولما سئلوا عن احمد قرر واجمعا
بصوت واحد عدم اتصاله بهم مطلقا وان ايس له يد في شيء . وان المسألة لم
تكن سوى أن خاطر رأى ذات يوم زوجته الجميلة نصاحبه لذلك ولما لم ينل
منها أو منه مآربا قدم البلاغ المذكور تخليصا لنفسه وبعدا عن شبهة وانها اذا
لفرصة طالما تمنها . ولكن ابى الله الا أن ينصر الحق وتعلو كلمته ولو كره
المجرمون . واهلكت الاوراق الى محكمة الجنايات جميعها وحوكموا وعلت
المحكمة للداولة وبعد برهة خرج الرئيس لنطق الحكم وهو يقضى بحبس كل
من المتهمين عدا خاطر واحد بالسجن لمدة تراوح بين سنة او سنتين . وعلى
خاطر بالسجن سبع سنوات . وعلى احمد بالبراءة مع حفظ الحق له حدد خاطر
بالتعويض الملقى الى اربعة الاف جنيه .

فنهض الناس جميعا لبعثوا المنال وخرج احمد من قوع الرأس موفورا الكرامة
ونال المجرمون عقابهم فكان جزاء وفاء .

محمد عبد الجواد السكري

جبر ضومط

مات الأستاذ ضومط ، مات رجل تربي حياته على السبعين ، بعد أن قضى ما يزيد على نصف قرن منها يبحث وينقب ويعلم ويهذب ويكتب ويؤلف . مات في بيروت صباح الاحد في ١٩ يناير ، فطير منعا الى جميع الاقطار فروع له ألوف تلاميذه وأصدقائه وعارف في فضله ، وانقطعت بذلك حلقة أخرى من حلقات رجالنا الكبار الذين مشوا في طليعة النهضة العلمية الحديثة يغذونها بفكرهم وخلقتهم وصحتهم ، ولا ينون في الجهاد .

ولد الأستاذ ضومط في برج صافيا بجوار طرابلس الشام سنة ١٨٥٨ تلقى مبادئ القراءة والكتابة والحساب في مدرستها وكان من الذين درسوه فيها سنة ١٨٦٩ المرحوم الدكتور صروف . ثم حمله شغفه بالعلم على اقناع والديه بارساله الى مدرسة المرسلين الاميركيين في قرية عبيه لبنان حيث استعد لدخول الكلية السورية الانجيلية في بيروت (الجامعة الاميركية الآن) فذهب اليها سنة ١٨٧٠ وليث سنتين ثم انتقل الى بيروت في اكتوبر سنة ١٨٧٢ وظل فيها حتى تخرج سنة ١٨٧٦ ؛ وعين بعد احرازه لشهادتها مدرسا للفلسفة الطبيعية واللغة العربية بمدرسة كفتين ؛ ورافق حملة غوردون باشا الى السودان سنة ١٨٨٤ ولما عاد دعت الجامعة الاميركية ليدرس اللغة العربية وآدابها فمغل منصبه هذا فيها الى بضع سنوات خلت حتى قضى عليه ضعف الصحة باعتزال التدريس ، ولكنه لم يعتزل الدرس والبحث . فقد كان رحمه الله طالب علم الى آخر رفق من حياته .

وتزوج السيدة هدى صليبي شقيقة الدكتور نجيب صليبي الطائر الصيت في جزائر الفيلبين فكانت له خير معاون على القيام بأعماله العقلية المختلفة ثم رزق منها بثلاثة صبيان : مخايل واميل ونجيب ، وثلاث بنات هيلانة (مدام

سكر) ومنيرة (مدام شحاده) ولولو : كل منهم مثال يحتذى في حسن السيرة
والإكباب على العمل وممارسة الفضائل التي تحلى بها والدهم

كان الأستاذ ضومط معلماً فطر ليكون كذلك يذكر له كل الذين درسوا
عليه ذلك الخلق العالى الفعال بآله ، المقوم باستقامته ، المرشد بأصبايه على العمل
وتمسكه بالفضيلة ، المهذب بما يلاومه من عطف الأب وصرافة الصديق . ولولم
يكن له إلا هذا الأثر في نفوس تلاميذه وأصدقائه لكان من الخالدين ، فقد كان
معروفاً عندهم طوال حياته . بالمعلم جبر . . وارجع أن لقب . المعلم . سيلازم
اسمه أينما ذكر

ولكنه كان علاوة على ذلك باحثاً برود مجاهد المباحث العويصة التي
تصدى لها في تاريخ اللغة العربية ونشأتها ونحوها بنظر ثاقب وحس دقيق . ومعرفة
واسعة النطاق . ومن أول الكتب التي وضعها في هذا الباب من البحث كتاب
« خواطر في اللغة » . بحبه المرحوم الدكتور صروف ، مبكراً عندنا ومهدداً
لعمل أعداءه من أنفع الأعمال .

وكان في النفس والمقل ، لا يتعمده من السنين عليه عن أن يتصل بروح
عصره المتجدد فيجارها بل ويسبقها في ادخال نزعات التعليم الجديدة الى كنيه
النحوية والصرفية أو اللغوية . لانه أدرك بالمرآة أن علم النحو وغيره من
علوم اللغة اذا اقتصر فيه على مجرد الحفظ من غير اشراف على فهم أو تمييز
كان مصيبة أية مصيبة ؛ فخرج في مؤلفاته والدروس التي كان يلقيا على الأساليب
القديمة ووضعها على نمط يتفق وعقل التليذ إذ جعل الاعتماد على قوئ الادراك
والتمييز والقياس والحكم . وكأنه بذلك أضاف الى علوم اللغة نزعة فلسفية
سيكولوجية جعلت لها بين الطلبة طلاوة جديدة ومقاماً رفيعاً . ومن مؤلفاته
المتداولة « خواطر الغراب » ، في النحو والاعراب ، و « المعاني الحسان » ، في المعاني

والبيان ، و « فلسفة البلاغة » . وقد جمعت مؤخرا مقالاته العلمية والفلسفية في كتاب « فلسفة اللغة العربية وارتقاؤها » وطبعت بمطبعة المقتطف .

وقد قدم الاستاذ ضومط مصر في شتاء سنة ١٩٢٢ مع قرينته الفاضلة فاحتفي به تلاميذه العديدون المقيمون فيها ، وقيل مغادرته لها أقيمت له حفلة تكريمية بدعوة من الأئمة في منزل والدها حضرها طائفة كبيرة من الادباء والعلماء يتقدمهم احمد لطفى السيد بك واحمد زكي باشا والسيد رشيد رضا والدكتور منصور فهمي و خليل بك مطران والمرحوم الدكتور صروف والمرحوم نور الدين بك مصطفى وغيرهم من رجال العلم والصحافة والادب .

وسنة ١٩٢٨ احتفل بيوميله الذهبي في جامعة بيروت الاميركية في مهرجان فخم تقديرا لعله وفضله . وقد اتيه كاتب هذه السطور في الصيف الماضي واجتمع به طويلا فاذا هو نشيط كل النشاط ، يقبل على عمله اليومي من درس وتنقيب وتأليف مهمة تفجّل الشبان ، وتضع امامهم مثالا عاليا لكبر الهمة وحب العلم والعمل ، وكنا نقدر له طول الحياة بعد ما رأينا في صحته من امائر التحسن ، ولكن قضى القضاء ، لامر د لما قضى . تعمد الله برضوانه وألهم آله الصبر والعزاء وجعل سيرته وعائنه طوي عليه من فضائل نبراسهم تدي به أبناء الشرق

فؤاد صروف



البهائية

وتاريخ قرّة العين

عاد الناقد المجادل بالباطل يمزق أقواله بالجزء والمضحكات كقوله
 يا خالي يا أم اسماعيل ، وكقوله ، الحقوني يا أهل البلد ، وغير ذلك من
 الردح ، نارة يثير أمن الاسلام وأهله ونارة يقول ، صدق الله العظيم ، وطورا
 يدعي أنكار الوحي فما عرفناه مذهبا تخاطبه به ، يتلون تلوّن الحرب بأكمل ذلك
 في سبيل أنكار آيات الله مع أننا لم ندعه للإيمان بل كنا في موقف إقامة الحجة
 ومعرض إظهار الدليل ، فمن شاء فليمرض عن هذا التصريح ومن شاء فليتخذ إلى
 ربه سبيلا .

حقا إن شخصا مثله لا يبالى أن ينسب السرقة إلى دينه لتحقيق أن يدعى
 على دين غيره بالسرقة ويفترض احتسابه إماما ، أي فرع من فرع بملأ فاه بفحش
 القول ونجوى من بين شذقيه الادعاءات الباطلة وينفك من صدره سموم
 الافتراءات ولا يرناد كلامهم الآيات الاغنادا زواجر الحاداء أولئك الذين
 كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا ، ذلك
 جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا ، وليس لنا أن نجادل
 أمثال هؤلاء لانا عرفنا ان مقصودهم لم يكن الاستفهام عن وجه الحقيقة
 بل الإصرار على المناد . ولذا ظننا أن حضرة صاحب العصور
 يفي بوعده في قفل باب المناقشة ويضرب بجملته ان نسطر لناقد هذا الهديان
 والطعن في الدين البهائي الخفيف ولكننا وجدناه قد أفسح له المجال بالظن
 كما شاء وصرح له ان يعتمد تحريف آيات الله كزيادة بعض كلماته المحققة
 في وسط آياته الالهية بقصد التشويه والمسخ بعد أن انهزم في ميدان المباراة

وما كنا لنعني بالرد على الناقد لولا أنه جثا على ركبتيه أمامنا متضرعا
يسألني أن أسرده سيرة حضرة الطاهرة قرّة العين التي كانت آية عصرها .
فتذكرت عند ذلك قوله تعالى : وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى
كتابها ، وإذا ذاك لا يسعني إلا اجابة تضرعاته وتوسلاته بذكر سيرة
الطاهرة التي انجذب العالم من خلاوة بيانها والتي قامت في نهاية الشجاعة
والبسالة على نشر دين الله في تلك الانحاء المظلمة وكشفت القناع مزادية
بمساواة المرأة للرجل في كل الامور الى أن فازت أخيرا بالشهادة العظمى
يد الظالمين المجرمين

فاستمع لتاريخ الطاهرة الزكية التي قامت بنى جنسها في كل المصور والتي
بعثارب البرية لتقدم المرأة وانقاذها من بين براثن الرجال المستبدين ، واثبتت
للعالم وأهله أن الله قادر على أن يبعث من النساء من هن أعلا كعبا من
الرجال وأقدر منهم علما وأدبا وفضلا وإطلاعا

كانت قرّة العين بديعة زمانها ، فريدة بين نساء أوانها ، وبسما الاصلى
و زرين تاج ، أي التاج الذهبي لان شعرها كان ذهبيا ، وكسيتها أمسلى ، ولدت
سنة ١٢٣٠ هجرية واهتم والدتها الملا صالح الذي كان من كبار العلماء بامر
درسها للعلوم فتجحت نجاحا باهرا وبدأت عليها مخائل الذكاء والفطنة والعقل
الفائق والفهم النادر وكانت تهتم حسب ارشاد عمها الملا علي بمطالعة كتب
الطائفة الشيعية حتى دب فيها الولوع بتلك الطريقة المجيدة وبدأت تقبس
الشيخ الاحصائي والسيد الرشتي خليفته وتعتبرهما أعلم علماء العصر وأعلام
تقوى وبصارة ثم شرعت عقيب ذلك في مراسلة السيد الرشتي في الاستفهام
منه عن بعض الغوامض ، فلم يكذب يقع بصر السيد على رسالتها حتى قال أنها
خلقة بعالي المقامات وجعل يخاطبها في جميع كتاباته بقرّة العين .
وبعد وفاة السيد ازمنت البقاء بكر بلاه لما كانت تعلم يقينا من كتابته وبشارته

إن الموعود في الأمة الإسلامية على وشك الظهور . وانتظرت هناك متوقعة
ارتفاع الزدء، وجلست في مقام السيد نافي الدروس على الطلاب من وراء ستار
نصبت لهذه الغاية ، فكان الطلاب والمستمعون في أشد الإعجاب بحسن تعبيرها
وفصاحتها وبقوة برهانها . وانقطعت للعبادة والتبذل . وهجرت تناول المطبوعات
واجزأت يسانط الاغذية تقضى الليالي في المناجاة والصلاة متظرة في كل
الآوقات ظهوره ويروى جمال الموعود

ولما كان أصحاب السيدة . انتشروا في البقاع والأصقاع للبحث عن
الموعود حسب وصيته وبشارته لهم ، خالطت السيدة أحدهم ، الملاح حسن بشروني ،
مستفزة منه عن نتيجة أبحاثه قائلة : (إذا وفقت للقاء طلمة الموعود فلا
تحرمنى من موافاتي بذلك النبأ ولا تضروا على بالسعادة المظلمى) فصادف
وحول كتابها بعد انتهاء السيد **لحضرة الموعود** : وقرب عبده بالآيمان ؛
فقدمه للحضور المبارك . وعند اطلاع الحضرة على مطلبها أجازها فوراً
وأثبت اسمها في وسط حروف الحى وكتب توقيعاً مباركاً بذلك . وبعد ذلك
شرعت تبلغ الناس علناً بهذا الظهور الكريم . وكان زوجها ، امام الجمعة ،
يعارضها في ذلك ويقول لها (انك لفضلك وعلمك لو ادعيت هذا الامر
لنفسك لصدقك فلا اذا صدقت أنت دعوة ذلك الشاب الناجر) فلما نيفت
من زوجها الجفاء والاصرار على العناد انفصلت منه رغم إرادته تابعاً لما عمل به
الرسول صلى الله عليه وسلم من تطلق النسوة المؤمنات من أزواجهن
الكفار . وقامت الحكومة أيضاً بالتعرض لتلك السيدة وأوفدت اليها من
يستطلع خبرها لظنهم بأنها تدعو الناس إلى نفسها فلما سألوها قالت : (ليس
إلى من دعوة لنفسي ولا أمر ، بل إننى مطمئنة بأن العلم الهى قد ظهر ، وكل من
يرغب من اكابر العلماء بمناظرتى في هذا الشأن فليفضل) فأقرتها الحكومة
على ذلك إلا أن العلماء لم يجرأوا على مباحثتها وماطلوا الحكومة وأخذوا

في الطعن عليها وتكفيرها وجردوا عليها سيف الغل والبغي . ولكن ذلك لم ينمها من تبليغ امر الله علنا ، ودعوة الناس جميعاً إلى مادية الأمر الجديد . ونهضت من كربلاء إلى بغداد وفيها حضرت نادياً حافلاً بأفاضل العلماء وبينهم الوالي والمفتي ؛ وقامت على تبليغ الجميع بما تحير منه الحاضرون . وأخيراً صدر لها الأمر بالتحول إلى منزل المفتي السيد محمود الالوسي ومكثت عنده في منزله شهرين وقد كتب عنها هذا المفتي في تفسيره (روح المعاني) مدحاً قائلاً وتقى عنها ما اتهمها به الاعداء من الكذب والافتراء والزور والبهتان وشهد بطهارتها وصيانتها وعلمها وفضلها حيث يقول : (وقيل أنها كانت تقول برفع التكليف كلها وأنا لم أحس بشيء من ذلك مع أنها بقيت في بيتي نحو شهرين ، وكم من بحث جرى بيني وبينها رفعت فيه حجاب النقبة فرأيت من الفضل ما لم أراه في كثير من الرجال ، وهي ذات عقل وأدب ، وفريضة حياء وصيانة ، وقد ذكرنا من المباحثات في غير هذا المقام ما إذا رقت عليه تبين لك أن ليس في فضلها كلام)

وكان من ملازمي ركبها في حياها وترحالها كثير من العلماء الاجلاء الذين ذكرت أسماءهم في الكتب وهم في كل آن يرتشفون من أنوار علمها وفضلها وكانت لا طمئنتانها من دياتهم وذمتهم وعظمتهم ترفع الحجاب أمامهم ولا ترفعه أمام الاغراب ، فقامت عليها وعلى العلماء الملازمين لركبها قائمة علماء الرسوم ، وصخبوا وقالوا كيف يجوز لمخدرة أن ترفع الحجاب وتخطب العلماء وتباحث المجتهدين . وقام الجدل بينهم وبين أتباعها والملازمين لحضرتها ليل نهار فكانوا يحبون العلماء بأن الوجه والكفين على مقتضى أحكام الشريعة لم يكونا في أي وقت عورة حتى في نظر الشريعة الاسلامية ، ولكن ذلك الاستدلال لم يغنيهم عن الجدال والخصام . حتى بعض الاتباع كانوا يرون في كشف النقاب مخالفة للشرع الا انهم ، واستفهموا من حضرة الباب وجاء

الجواب التالي الذي تلى على جمع من الاحياء في الكاظمية ومن ضمنه في شأن قرّة العين. (واما ما سألت عنه المرأة التي ذكرت نفسها فاعلم بأنها امرأة صديقة عالمة عاملة طاهرة ، ولا ترد الطاهرة في حكمها ؛ فانها أدري بمواقع الامر من غيرها) وكان ذلك الجواب مكنياً للتزلزلات ، ومرشداً للثابتين الراغبين الذين اعترفوا جميعاً بطهارة الطاهرة ونزاهتها . وانتشر صيتها في جميع العراق وأصبحت حديث الناس من كل وضع وشريف . ورفع نجيب باشا والي بغداد الامر إلى القسطنطينية شرح فيه أحوالها حتى جاء الامر من هناك بجلاء الطاهرة من بغداد إلى ايران . واعتزمت مفارقة البلاد ورافقها في رحيلها ما ينوف عن ثلاثين نقشا من تلاميذها وأصحابها مابين عربي وعجمي . ولما وصلت الطاهرة في طريقها إلى قرية (كوند) هب رؤساء القرية لاستقبالهم بالحفاوة والاكرام وأضافوهم بكل تحلة وترحاب واحترام مدة ثلاثة أيام ، وفي أثناءها قامت الطاهرة بتبليغ الامالى هلاكية الى الاقبال على دعوة الباب . وورد عليها رؤساء العشائر ونحت إزهم نحواً من اثني عشر ألف فارس توصلوا اليها جميعهم أن يكونوا في ركبها فشكرتهم الطاهرة ودعت لهم وودعتهم واتجهت نحو كرمانشاه وفيها أمرت بالصلاة العامة لعموم الاحياء فأقبل سواد عظيم واحتشدوا جميعاً في الصلاة وفي وسط ذلك الجمع أعلن تلاميذها للناس جميعاً عنا ظهور حضرة الباب . وكانت سيدات الامراء وعائلات اولاد الملوك يزرون الطاهرة ، وكذلك السيدة حرم الامير حاكم كرمانشاه ، وأتى الامير بنفسه الى زيارتها . وبعد ان سمع من الايات والبيانات آمن مع جميع أفراد أسرته فأخذت حركة الامر هناك تزداد وامتد بساط التبليغ ، وأخذت الكلمة تعلو يوماً فيوماً حتى غشى بأس الطاهرة علماء تلك البلدة فاجتمعوا عند رئيسهم على أكبر وطلبوا منه مناظرة تهابيين لحق من الباطل ، لكن هذا الرئيس خشي عاقبة الامر ، فرفع تقريراً الى الحاكم يطلب فيه ابعاد الطاهرة ، فاجتمع

الحاكم معها واستقر الرأي على مناظرة المجتهد المذكور في اجتماع يعمل خصيصا واذ لم يأت بغائدة يعدل عنه الى المباحلة . فلما فهم المجتهد المذكور قرار الوالى استشاط غيظا وعارضا و طلب الامهال حتى يشفى . وفي أثناء ذلك أرسل الى والدها والملا صالح والى عمها خطابين بالغ فيهما في موضوع قرعة العين وطلب منهما الحضور لآخذها ، فأرسلتا اليها بعض ذوي قرابتهما للعودة الى قزوين موطنها ، ولما أطلعت الطاهرة على مكر المجتهد رأت اجابة طلب ذويها ونزحت عن البلدة الى همدان وفي أثناء الطريق عرحت على (صحبة) ومكثت فيها ثلاثة أيام تدعو الناس وأعيان البلد الى ظهور الباب . وأبلغت أمر مولاهما علنا وخفت الطاهرة الى الكلفة الى منزل بهمن مرزا ، وفاوضت نساء الامير والفتن الرسالة فاجاب لها اثنان : احدهما (نواب حاجية هانم) والدة محمد حسن خام حسام الملك : الاخرى (حاجية هانم) حرم ناصر الملك الاكبر ، وتشرفت هذه في بغداد بعشرة بهاء الله وانجذبت انجذابا أفضى بها الى أن صارت تنظم الفريش في وصف حضرته ، وكان لبلاغة شعرها التأثير السكالي عليها وفضلها ولما رأى الامير (خانلر ميرزا) ما قامت به الطاهرة من جلالت الاعمال عقد مجلسا من العلماء لمناظرتها ، ولما تم عقد المجلس أخذت الطاهرة تذكر لهم من وراء الحجاب البيانات وأفاضت ببلاغة البيان وتركتهم يعدفون بفضلها وعليها وعظمتها ، وأفروا بجلالها وفخامتها وامتدحوا عليها وعرفاتها وأديها . ودعت الطاهرة في تلك البلدة رؤساء عشائر بني اسرائيل ودعتهم الى الامر ، وسألوها بعض أسئلة فكانت تجيبهم بالآيات من النور اذ أدهشهم وحرر الباهم . وكتبت أيضا رسالة خاطبت فيها عميد علماء تلك المدينة واثبتت فيها حلول مواعيد (الموعود المنتظر) برمتها ، وعززت ذلك بالحجة والدليل ، ولما فتح المجتهد الرسالة وقرأ مطلعها ووجد انها دعوة الى الايمان بالامر الجديد استشاط غضبا واحتد وأخذ يلعن ويسب باشنع الالفاظ ، فاجابه لما ذاك الرسول بقوله (ليس من شأن أهل العلم والعرفان مقابلة الدليل والبرهان

باستعمال لسان الطعن والقدح) قام المجتهد اذ ذاك بضربه . فجهم عليه العلماء
الحاضرون واوسعوه ضربا حتى أشرف على الهلاك ، ثم سجنوه والقوه خارج
المنزل ، وقام البعض فاحتلوا جسد الرسول الى منزل الطاهرة حيث اخذوا له
يعالجونه ، وكانت تقول الرسول (طوبى لك وصلى الله عليك بما قدمت نفسك
فداء لاعلاء كلمة ربك الاعلى)

ولما اعتزمت قرّة العين الرجوع الى قزوین موطنها بناء على ملتصق أهلها ،
أمرت فريقا من الاصحاب بالعودة الى العراق العربي بعد ان زودتهم بالنصائح
ومضت مع باقي اصحابها الى قزوین . وبعد وصولها اقضت ايامها الاولى في الباحة
والذهقة مع والدها وعمها . الحاج ملائقي ، فما كان من والدها الا أن لزم الصمت
وأما عمها فزاد في التدجاج والعناد وتموه أمامها بهذه العبارات : شرع في السب
واللعن والطعن ، فقالت له : الويل لك انك في رأيي لدم يقطر من فك النجس ،
وتخدم الاقرباء الى الطاهرة يقول ما نسمع في العودة الى منزل زوجها . ولكن
ما خلف من هذا الثمين من مدارضا ومقاومة لها في أغتقار الباب منها
من قبول هذا التكليف ، وكان جوابها لم يكن الخيث ليضع كفهوا للغيث
قط ، فقطع هذا الجواب الامل في الرجاء بعودتها وابت روحها العلية ان
تقيم صاغرة كائن الفناء في منزل قربنها المستبد المتقد بلجيع اقوالها وأعمالها
وسلوکها : فرفضته الرفض البات ولم تقبل مطلقا ان تجيب الطلب ، فجعل عمها
الملائقي يرتقي المنابر بعد كل صلاة وينال بالسب واللعن في حق الطائفة
الشيخية والباية ، ولما جاوز هذا الشيخ الحدود في الطعن صمم البعض على قتله ،
وفي غضون ذلك أمرت الطاهرة اصحابها بالزوح عن قزوین ولم يبق معها
منهم سوي شخصين وكان يوجد شاب يدعى ميرزا صالح مشهور بوجهه للشيخ
الاحصائي والسيد الرشقي ولما رأى الملائقي بلعن الشيخة عذب كل صلاة
صمم على قتله خصوصا بعد ما سمع عن فساد أخلاقه وأخذ الرشا وجهه

للدنيا وعيادته للدرهم والدينار . وأقدم على هذا العمل وبشون استشارة
أحد ، فانتبه فرصة مرور الحاج تقى الى المسجد صباحا وهجم عليه وضربه
بمراوعة محددة الرأس فأصاب رأسه ووجهه وبطنه ولم يزل يضربه حتى اعتقد
انه مات فتركه وركن الى الفرار . ولكن الحاج مكث ثلاثة أيام بعدها الى أن توفي
وأوصى ان لا يعتدى على أحد في قضية قتله لانه سقاع القاتل ورغما عن هذه
الوصية قام ابنه ملا محمد (زوج الطاهرة) وشق جيوبه وأسرع الى دار
الحكومة مستقيما الى البايه ، ويكي ويتعجب حتى أصبحت حياة الطاهرة
ومن معها في خطر

واتهموا في قتله ميرزا هادي الفرهادي وصمموا على قتله . فلما رأى القاتل
ان الايرياء يتعمدون تصدي امار الحكومة واعترف بالقتل وقال (إذن لا داعي
الى تعذيب الايرياء) وعند ما قيل له (لماذا لم ترحم شبابك ولا شيخوخته
وقلت شيخ العلماء) أجاب بقوله (انه لم يكن عالما بل كان لصا سارقا لانه
سرق من بستان أبي حنيفة بضعا من حبات عنب وكان بهذه الحيلة يفتري
على الساكنين من الناس ويعتدي عليهم ويخرج قلوب الخواص ويحط من
قدرهم) ثم شرح مقصوده من هذه السرقة بقوله (أن العلوم التي كان
يفخر بها ملا تقى كالفقه والاصول هي من ثمار بستان أبي حنيفة فالاشجار
غرس يده والبستان صدمه وتأسيسه ، ومهما اجتهد العلماء الذين من هذا
القبيل لم يمكنهم أن يحصلوا الا على قليل من جانب عنب هذا البستان ، ومن
كان من المعلومات بهذه المنزلة والقدر لا يبلغ بمعارفه تلك المراتبة الرفيعة
التي هي زعامة العلماء . ولا يؤهله لادعاء العظمة والكبرياء ، ولا يجعله بحيث
يسمح له الناس ببيت تلك المفاسد والشرور . وأما العالم الحقيقي فهو من
استقى الناس من قيصان نهر علمه وعوارفه واقتبسوا من نبراس فضائه ومعارفه
وخدم مصالح النوع الانساني بحق وفتح في أوجه العالم أبواب الرحمة ونجى

الناس من المشاكلي الدينية الجمة واراھم من غاذر الخلاف والحصام)
فاندھش الحاکم وحاشيته من هذا الیان وهلھم جرأته وبسالته ، ولكن
ساقوه الى السجن وانتهت هذه الواقعة بقتل خمسة أشخاص وهم ميرزا صالح
وملا ابراهيم المملاتی والشیخ صالح الکریمی وشخصین آخريین بالرغم من
وصية الملاتي بالمغفرة عن القاتل . وسعى ابنه ، امام الجمعة ، لان يتوصل الى
اعدام الطاهرة ليأخذ منها بثأره القديم . وكانت الطاهرة في أثناء هذه الحوادث
مقيمة في مرآي الحاکم سجينة تحت خفارة مرعطي الديوان وحراستهم ، فلما بشت
من الخلاص كتبت تفاصيل الوقائع وبعثت بها الى حضرة بهاء الله في طهران
الذي كان إذ ذك الشخص الذي يشار اليه بالبنان في جميع الشؤون والاحوال ،
فلما قرأ الكتاب أمر ميرزا هادي الغرهادي بالشخص الى قزوين لانتقاد
الطاهرة ، خلف ميرزا هادي الى قزوين وطرق جميع الابواب وبعد
التيا والتي تمكن من اخلاص سبيل الطاهرة وأخرجها ليلا الى طهران برفقة خادم
يدعى قلي . وبوصولها الى طهران تلقاها حضرة بهاء الله ومضى بها الى منزله وعندما
قابلته لأول مرة شعرت باحترام عظيم نحوه . ومن العجيب أنها رغما من طلاقه
لسانها وبلاغة لسانها واقتناصها عقول علماء الزمان كانت تجلس في حضور
حضرة بهاء الله في صمت واطراق واحتشام كما يجلس التلميذ بين يدي أستاذه
منطلقا الى الاستفادة من بحر علمه . وصادف وقت حضورها في طهران
اجتماع الاحياء على عقد مؤتمر عام في يدهاء بدشت وفيها حطوا الرجال
ونصبوا الخيام ، و (بدشت) بلد معروف بجودة الهواء بين خراسان ومازندران
وكان الغرض من الاجتماع هناك أمرين (الاول) طريقة انقاذ الباب من
اعتقاله (الثاني) مسألة نسخ الفروع الاسلامية . فدارت هذا كرات المؤتمر حول
هاتين النقطتين لان حضرة الباب كان مسجوناً في قلعة ، ما كره ، وكان حضرة
بهاء الله والطاهرة على اتصال بالمكاتبة معه . ويفهم من توقيعاته أن الوقت

كان وقت الحركة والتبليغ وإتمام ما هنالك من الخدمات وأن الصمت
 والسكون لا يجوز أن يحال من الأحوال وكانت تكاليف الأمر الجديد غامضة
 على كثير من الأحياء حتى ذهب فريق منهم إلى أن الحركة تابعة للشرعية
 لاسلامية وتمسك البعض الآخر بانها أمر مستقل. ولما تم اجتماع الأحياء في بدشت
 شرعوا في البحث وكانت مجالسهم منقسمة إلى طائفتين : الأولى الطائفة الخاصة
 بكبراء الأصحاب وعظمائهم ، والثانية المجالس الإمامية يخاطب فيها فرد من
 الأصحاب المعروفين . وقرر قرارهم على إرسال المبلغين وحشد الأحياء قريبا
 من ما كوا حتى اذا تم منهم عدد وفير طلبوا من الشاه الافراج عن الباب
 فاذا لبي الطلب فيها والا أنقذوه بالقوة . وأما فيما يختص بالمسألة الأخرى
 فقد اختلف فيها الأحياء وانقسموا إلى فريقين كما تقدم وكانت الطائفة من
 الفريق الذي يرى جواز تغيير الشرعية بالأحكام الجديدة ، وصممت لذلك
 على تفهيم هذا لجميع الأحياء وكانت تقول (أن هذا العمل سيجري إلى
 ساحة الوجود لا محالة ، وسيطرق هذا القول أذن العام والخاص . فكلما
 أسرعنا في الكشف عن هذه الغوامض كان أليق وأوفق وأنفع للأمر
 والعمل الذي سنقوم به حتى يفصل عنا كل ضعيف لا يحتمل التجديد ولا
 يبقى معنا الا كل قوى مخلص يقدي بنفسه هذا السبيل القويم البديع)
 وشرعت الطائفة في تفهيم الأحياء حقيقة المقصود وكشفت عن السر
 المكنون من تبديل الفروع وتغيير الأحكام ونطقت بلسان فصيح كاشفة
 النقاب بادية الجمال صائحة (لقد ظهر الحق الموعود وتجددت الأمور
 ومضت العوائد القديمة وانتهت وظهر الصافور العظيم والصور الذي
 ينظرونه هو هذا النداء الإلهي فلماذا أنتم نائمون ؟ انبهوا من فراش
 رقادكم ، قد ارتفعت الشمس من ربيع الأزلية . لماذا استغرقتم في بحور المادة
 وقد ظهر مالك الانتدار ؟ انظروا إلى هذا النور المبين واسمتموا لتغيات هذا

العصر الجديد الذي نعت روح الحياة الجديدة في جميع الموجودات وهبت نسائم
 الفضل والجلود ونفحت نفحات الفيوضات الالهية عليكم أجمعين) ثم تلت
 سورة القيامة فوضع الكثيرون وأبدأ غيرهم يصيح وقطع أحدهم حنجرته
 والبعض قاموا بالسب

وانقسم الاحباء الى فريقين : فريق أعجب بأفكارها ، وآخر انتقدها . وفي
 آخر الامر تداخل حضرة بهاء الله في المسألة وهذا روع الجميع ، وأمر باحضار
 المصحف الشريف وتلا سورة الواقعة وأخذ في تفسيرها وتاويلها وأفاض
 في شرحها وبيانها حتى اطمأنت قلوب الجميع وعلموا بأنه لا بد من وقوع هذه
 الراتعات وحدثت هذه الحادثات كلها

كانت قوة العين في جميع أدوار حياتها في غاية الشجاعة ، لم يحصل لها نور ،
 واخيرا أمرت الحكومة بحبسها وإيقادها وكانت تنادي في الحرس وتهدي لنفوس ،
 واخيرا حكموا عليها بالقتل ، ومع لها كانت في جميع أيام حياتها لا تفكر مطلقا
 في الزينة كمادة انفساء إلا أنها في يوم شهادتها تزينت افا حار الجميع في أمرها
 وسألوها لماذا تنكرت أيتها السيدة في الزينة خلافا لعادتك؟ فقالت : لأنني اليوم
 عروس ، وصارت تمشي في الجنة بغاية الوقار والسكون ، فقال الجميع لا بد وأنه
 قد أتى يوم شهادتها وحانت ساعة قتلها . ولكنها كانت تنادي وتقول : اني صرت
 الصافور العظيم المذ نور في الانجيل الجليل . وعقب هذه الحادثة اخذوها ليلا
 وطرحوا قاتلوها في البئر بعد أن خنقوها في وسط الجنة . وبذلك فازت
 بالشهادة العظمى

عبد الجليل سعد

(الصور) - صدمنا على أن نقفل هذا الباب . والعصور تحترم المعتقدات

بقدر ما تقدر حرية الرأي .

قصه

العلم والفن !

التفت عيناها بعينيه فحفظتهما وقد اصطبغ وجهها بحمرة الخجل . فذهبت الفراء على كنفها حتى غطي جانباً من وجهها ، ثم انسلت بسرعة إلى الخارج . فالتفت أثرها وهي تلتفت ، وراها القينة بعد القينة فتلتفت أنظارهما . فلما وصلت إلى الباب وقفت تنظر إليه كأنها تتحداه ، واقترب هو منها فأبدرها بقوله :

— لقد رأيته

— رأيته ماذا ؟

— رأيته وأنت تضعينها في جيبيك ، فبدت كأنها مرتاعة وتغير لون وجهها بين الخمرة والصفرة والبياض كما تلون الحرياء . والكمها تصنعت الجلد وقالت :

— لا أفهم شيئاً مما تقول !

— رأيته تسرقين تلك الزمردة .

— يظهر أنك كنت في جيبه !

— كلا ياسيتي ، ، اتى متبظظ جيداً ، وخير لك أن ترجعي الزمردة لصاحبها

— وأي شأن لك في هذا ؟ هل أنت بوليس سرى ؟

— لست بوليساً ولكن البوليس قريب منا على كل حال .

فأدارت بصرها مكثافة ، ولحظت هو ذلك منها فرمقها شذراً وقال مستلياً :

— وما أنذا سأدعوه .

فمدت إليه جرعة متفطنة وقالت :

— بالله عليك لا تكن قاسياً إلى هذا الحد !

فحدثني فيها تحديقة خبير فأقصد ثم قال لها بصوت خفيض :

— أنا واقفان هنا في الطريق فلا نستطيع أن نتحدث في هذه المسألة الدقيقة في مكان

كهذا . فهل تريدان أن تصحبيني إلى منزلي عساني أجد لك مخرجاً من المازق الذي

ألفيت بنفسك فيه ؟

فغمزت بعينها وقالت — وإذا رفضت أن أذهب معك ؟

أجابها - البوليس و . . .

فقاطعت - إذن هيا بنا . . . (وأبست إثماعة مريرة وهي تقول) هل أعتبر

نفسى تحت القبض ؟

فأجابها تنصا - لقد أخبرتك أنى لست من رجال البوليس

وزلا فاستقلا سيارة دون أن ينبا بكلمة . . واستمسك كلاهما بالصت

واختلاس النظر من بعضهما حتى أصبحا داخل مكته ، فوقف تجاهها وبادرها من

قوره قائلا :

- أظن ان الأفضل أن تسكلم على المكشوف ، كما يقول المثل . . لماذا

سرفت الزمردة ؟

فأجابته في جراءة - لا أريد أن أخبرك بشيء !

ورد عليها بهدوء - ولكنك ستخبرينى هل كل حال !

فهزت رأسها الصغير بعنف هذاغظة بأسانها على فكها قائلة - أي حق لك في

أن تلقى على هذا السؤال ؟

قال - لأنى أنا الذى رأيتك ترنكين تلك العملة .

قالت - اولى لك ان تعنى بشؤون نفسك اذا كان لديك ما تعنى به من الشؤون

خير من ان تتدخل فيها لايديك

قال - أشكرك على نصيحتك الثمينة وأؤكد لك انى من أجل العناية بشؤونى قد

طلبت اليك ان تصحبينى الى هنا

ثم سكت هذبة ولم تنطق هى بحرف كذلك بالرغم من الدهشة التى كانت مسرولة

عليها . . ثم استلنى هو قائلا :

- أود أن استيقك هنا بضعة أسابيع قليلة . .

فلم تستطع كظم دهشتها وارتفع صدرها بين الشيق والرفير وهى تجاوبه :

- يظهر أنك مجنون ! (وأبعت ذلك بصوت خفيض) ونضلا عن ذلك فأتى مخطوبة !!

فما زاد يسمع هذا منها حتى انفجر من هدرته الذى لازمه حتى هذه اللحظة وقال

صوت دوى فى أرجاء المكان :

- لست أبالى بشئ من هذا فانا انما اريدك من أجل قوامك المعتدل وجسدك البديع

- هذا مستحيل لأنى مخطوبة لغيرك !!

— أنا لا يعني من أمر خطيبك شيء ! وإنما يحبر بان أوضح لك المسألة لئلا تسيئ فهم
قصدي . . . فإنا لست أريدك لأني . . . أحبك . . . أو أي شيء من هذا القبيل . . . كلا .
لكنني أريد أن أرسلك

— كلا ، ولا هذا أيضا !

— ولكنني سأدفع لك ثمن الصورة . .

— تدفع لي !

— نعم ، سأدفع ثمن الزمردة التي . . . سرقتها . . . مضافا إلى ذلك سكوني عن
التبلغ عندك بشأنها

فأصاب هذا الكلام الهدف . . . وسادها السكون برهة غير قصيرة . . . ثم قالت :
— وماذا تطلب متى إن أفعل ؟

— إما أن تغني أو تجلسي أو تضطجعي هنا أفوم أنا برسم الصورة
(برهة صمت أخرى)

هي — وبأي ثياب تريد أن ترتجيني ؟

هو — بالثوب الذي اختاره لك . . . ألوانه . . . وبلا ثياب !

فارتعشت جفونها ، وعاود لون الأرجوان وجهها ، وأطرقست متحيرة وهي تقول :
— ومقابل هذا . . . ؟

قال — سأدفع ثمن تلك الزمردة للجواهري . . . صاحبها . . . فاني أعرفه ، مرفقة وثيقة
تضمن لي سكوته ما دمت سوف ادفع له ثمنها . . . وفوق ذلك فإن أحدا لن يعلم من
أمر هذه الحادثة شيئا .

قالت — لكنني لا أستطيع ذلك لأنني . . .

فقاطعتها بصوت خفيض لأنها يحدث بهتبه :

— لعنة الله على السجن ، ما أقنوه لأسيا لسيدة ظريفة مثلك . . . بل أن . . .

فدبت ذراعها تكفه عن متابعة حديثه قائلة في استسلام :

— كفى ، كفى . . . لقد قبلت ما دام لا مناص من القبول

— الحمد لله ! هيا بنا إذن نكتب عقد الاتفاق

ثم تناول ورقة وقلما فكتب العقد محدداً مدة العمل بثلاثة أسابيع ، وبعد أن قرع من كتابه قدمه لها ليرقع عليه ، فتنازلت من يده وقرأته ثم قالت :

— ألا تكفيك كلمتي بأنني قلت حتى تريد أن ترغمني على توقيع هذا العقد ؟

أجابها - لست أشك مطلقاً في قيامك بعهدك واحتفاظك بكلمتك . . ولكن هذه

هي الطريقة العملية للمعاملات

فذهبت تهيدة خفيفة وتنازلت القلم بيد ثابتة ظاهر عليها حسن الاعتياد على القبض على ناصيته ووقعت به اسمها واضحاً جلياً . ميليفت باتون . . ثم تناول هرومها القلم بدوره ووقع به . جورج ايفرتن . ثم قال :

— أمتك يامس (آنسة) باتون وأشكرك . . والآن أرجوك أن تحضري

إلى الاستوديو . (صالة التصوير) في الساعة العاشرة من صباح الغد . وهناك العنوان

فناولته ورقة العنوان وفادته خارجة وصدرها مخملج بشاعر متيانية متضاربة

وتركته مفكراً متأملاً في الفرصة السعيدة التي ألقت في طريقه هذه المرأة الباهرة .

وهو حين وقع بصره عليها لأول مرة أخذ يحاها الفنان ليس كما تؤخذ نحن الرجال

العاديون ! وإنما كما يؤخذ الفنان ويهرحين يقع على مناله . . فهو منذ رآها تخيل فيها

الصورة التي إذا أخرجتها ريشته على حقيقتها لوقف كل من رآها تجاهها بحبس النفس

طرباً وإعجاباً . . وهامى ذى قد وقعت في قفح كانها قد نصب لها شيطان الفن ! !

ولدت نقرتها في صبيحة اليوم التالي على باب الاستوديو رقيقة مترددة ، ونظرتها

حية حائرة . .

قال لها ايفرتن - تكمري بخلم ثيابك خلف تلك الستارة يامس باتون والبسي هذا .

ولأن هذا نوباً حريراً خفاقاً تكاد العين تحطه وتشكر وجوده إذ يبدو ماتحه

واضحاً جلياً بغير ماحجاب ، وهو شبه في طرازه الثياب التي ذات تلبسها غابات اليونان

والرومان في الأزمان الغابرة . . فخطرت إليه الفتاة نظرة فزع ولكنها لم تلبث أن

اختفت - دون أن تبس بينت شفه - وراء الستارة ثم عادت بعد هنية إلهة من آلهة

الجمال ، جديرة بأن يسجد عند قدميها عشاق الفن الجميل

حتى ايفرتن التي ذات صورتها مطبوعة في خياله لم يستطع حين رآها على تلك

الصورة الالهية إلا أن حياها بتوديع وجنته - إن صح التعبير - و يرق في عينيه ،
 لاسيما حين وقع بصره على وجهها وعنقها وتوודהا
 ويبدأ هو بفحصها بنظره فحسباً فنياً ليقرر الوضع الذي رسمها عليه قال لها :
 — لا تفجلى متى فأتى فنان وحبيك هذا ، وفضلا عن ذلك فليست هذه بالمرّة
 الأولى التي تأملتك فأحسباً هكذا ...

فحدجته بعينها الصافيتين بنظرة مستفسرة ، فاستل قائلها .
 — نعم ، لقد رأيتك وأنت في عشتك في الصيف الماضي على شاطئ البحر ، وكنت
 تحسبن نفسك وحيدة بينما كنت أنا أجلس النظر إليك - بعين فنان من فضلك ! -
 من ثقب في المشية

فألهب جسمها بمد من القرمز لدى سماعها تلك الذكري . . . ولكن الرسام كان
 ينظر إليها الآن . ولقد أنشأ فيه نفسه بل جرده عنها ! !

ووقفت الفتاة لا تبدي حراكا كما أنها هي واقفة أمام الأبدية بينما جعل الرسام يخطط
 بسرعة فائقة بقطعة من الفحم الرسم الكروكي وهو لا يفتأ يلقي عليها النظرة تلو النظرة
 بعينين فأنهما عدستان تفلان ما تقعان عليه نقلا دقيقا على لوحته
 وبعد برهة أدركته عليها الشفقة ، فتعطف قائلها :

— لقد جعلتك تفقن طويلا في هذا الوضع فاستريحى الآن قليلا !
 فطرحت نفسها في مقعد وهي تتلوى وتفرك فخذيها وصافحها يديها لتلين
 عضلاتها المتألمة

ما أحلاك يا ميليسنت وما أبدعك انهود بارزة ، وحذر عاجي ، وأعضاء ملفوفة
 متناسقة برشرة ملساء في لون القشدة ، ولم فأضح مترجرج . وجهه افرو دبت ولكنه على
 بحرارة الحياة !

ولقد مدت بصرها وهي جالسة في مقعدها نحو الصورة السريعة التي رسمها لها فلم
 تستطع هي نفسها إلا أن عجبت كيف يكون لها هذا الجمال الكامل ! وجعلت تسأل
 نفسها عما إذا كانت جميلة حقا بهذا المقدار ؟ وهل هي ...

ولكن الرسام قطع حبل تفكيرها قائلها :

— هلى الى عرشك ثانياً يا مس باتون

فنهضت متأنلة وعادت الى موقفها واقتربت الرسام منها وراح يقلبها ذات العين وذات الشال ، يلوى رأسها قارة ويعدل كتفها تارة اخرى وهو لا يبدو عليه في كل هذا أي أثر من الحس الجنى حتى لكأنما التي يقلبها قطعة من خشب أو مطاط وليست التي يجري الدم في عروقها حارا !!

وما من وضع يخطر ببال مصور سواء أ ذات واقفة أو جالسة أو مضطجعة إلا استعرضها فيه . . . قارة شائخة بأنف المتصر . . . وأخرى قايمة تنوء بالهزيمة . . . وطرورا تصوب من عينيها سهام الاغراء والفتنة . . . وأنا مفكرة غائمة . . . وما لا يعد ولا يحصى من مختلف المناظر والمظاهر !!

ومضى اسرعان وبدأ الثالث والقودج مستلم ! ولكننا تبدو عليها بين آن وآن علامات قلبي متزايدة ، فيسألها إيفرتن بغير اهتمام :

— هل هناك شيء يزعجك ؟

— كلا . . . المسألة بسيطة . . . اشكرك

— ولكن هناك مسألة ، عن كل حال . . . هل يمكنك ان تخبريني ماهي ؟

— إن خطيبي يحضر في هذا الاسبوع

— وماذا يهم ؟؟ دعيه يحضر !!

— لكن . . .

لم يهتم إيفرتن بمعرفة ما وراء هذه الالهة لكن . . . ، وذهب احتجاجها صرخة في واد . . . ولكنها حين جلستا لتناول طعام الغداء في الاستوديو حيث كان إيفرتن قد أعده فيه توفيراً للوقت — ذكر الحديث الذي دار بينه وبينها حول خطيبها فسالها قائلاً :

— لقد كنت تكلميني عن خطيبك هذا الصباح ؟

— نعم ، فهو حاضر في هذا الاسبوع

— وبعد ذلك ؟

— افضل أن لا يراني على هذه الحال أو يعلم اني .

— ولماذا ؟

— أولاً هو ليس فناناً ليقدر الموقف ، فضلاً عن ذلك فإن آراءه رجعية قديمة . . .

- فليذهب الى الجحيم اذا شاء !! لا تكلميني ثانية عن هذا ...

- الحق انه رجل طيب ولصكه ..

- لكنه ماذا ؟

- يشور ثأثره اذا عرف اني ...

- كان ينبغي عليه أن يسجد شكراً لله الذي جعل مثل هذا الجمل (مشيراً إليها)

ملكاً له

- بالطبع هو يعني حياً جاً ولكن ...

- والله دعينا من هذه اللذات (جمع لكن) وهلي بنا الى العمل

- لقد ظننت انك ستصنع لي صورة كبيرة مثل ...

- ستكون الصورة كبيرة بالطبع ، وسأبدأ في عملها منذ هذه الساعة

وقام فسحبها من يدها وذهب بها الى اريكة أجلسها - وأضجها على الاصح - عليها

وراح يلوحها ويعدلها و يدفعها ويحطبها حتى استقر على الوضع الذي راق له فقال لها :

- عليك الآن أن تصيدي على هذا الوضع كما لو كنت قطعة من الاريكة .

ثم تركها وذهب الى مكانه أمام لوحة الرسم ، وراح يشغل كما لو كان على بعد

مليون ميل منها ، ولا عيبه الذين كانوا يرسلان النظر الى كل عنصر من أعضائها وضع

من أعضائها حتى يكاد ينفذ الى صميم قلبها

ومضت بضعة أيام وذلك الوضع لما يتغير وايفرتن مشغول بهمة فائقة ونشاط

عظيم ، أما هي فقد برح بها الألم الى حد انها كانت تعاف أن تنظر الى التقدم المطرد

في صورتها يوماً عن يوم !!

وأخيراً قال لها ذات صباح :

- أظن اني سأنتهي من الصورة قبل نهاية مدة العقد

فاجابته - يبرني أن أسمع منك ذلك ، فقد كلني خطي بالتليفون قائلاً إنه

سوف يحضر مساء اليوم ، ولست أريده أن يعرف شيئاً عن هذه المسألة

قال ايفرتن - دعينا بالله من هذا الخف والهراء !!

ولكن خطيها لم يلبث أن أحاط بكل شيء ، خيراً !! فهو قد وصل في قطار سابق

بالقطار الذي أعلنها بأنه سيصل فيه .. فلما ذهبت ميليسنت لتقابلته على رصيف المحطة في

الموعد الذي حددته لها ، كان هو يقرر باب الرسام ايقرن ، إذ كان قد علم من جورتها بأنها تقضي معظم نهارها كل يوم لدى ذلك الفنان ليرسمها ، وما أن فتح له ايقرن الباب حتى حياه باحتشام سائلا عن خطيبته فأجابه ايقرن :

— كلا ياسيدى ان الآنة ياتون ليست هنا الآن

ولكن نظر خطيبها وقع على عدة صور لها في كل مكان ؛ ولم تكن صورة واحدة من عدة نسخ ، بل كانت عدة صور في أوضاع مختلفة : هذه تظهرها من الجانب الايمن ، وتلك صورة مواجهة ، وغيرهما وهي مضطجعة تستعرض ليونة خصرها . ورابعة مفترة الثغر عن ابتسامة ساحرة غالية .. الى غير ذلك من الاوضاع الكثيرة حتى زحمت بصورها جميع أنحاء الاستوديو .. فوقف خطيبها ذاهلا مبهوتا .. وفرك عينيه متوهما أنه في حلم ! ولكن صوت الفنان لم ين أن صادقه على حه بالقطعة . وقال ايقرن :

— هل هناك شيء من الخطأ ؟

— شيء من الخطأ ! كلا ، بل ان كل شيء هنا خطأ في خطأ ! اللهم اخرك بالابليس

المعين ! ما هذا كله ياسيدى ؟

— جمال فاضح !

— كذلك هو غش فاضح ! بل ان هذا الاسم هو الاصح لهذه المجموعة المتهككة ..

ولكن قللى ياسيدى : كيف تريح نفسك أن ترسم هذه السيدة مثل هذه الصور المنكرة ؟

— هذا من شؤونى أنا و... ..

— وهو وايم الله من شؤونى أنا أيضا ! لا بد لي من أن أحل هذه المسألة !

وقد قال جملة هذه الاخيرة وهو مندفع خارجا من الاستوديو ، كالوحش

المفترس إذ يهاجم غاضبا ..

وبدئ أن الخطيب وخطيبته (مى باتون) تحادثا مليا في تلك المسألة بدليل

أنها عندما حضرت في صبيحة اليوم التالى الى « الاستوديو » كانت متجهمة الوجه ،

بادية التفكير ، ولم تكذب تحويها الغرفة حتى قالت :

— لقد قال لي انى اذا وقفت لك مرة ثانية فإنه سوف يفسخ خطوبتنا

قال ايقرن — إذن أعلن أنه يمكننى أن أكل الصورة بدونك .. فيمكنك أن

تذهبي الآن إذا شئت

فكان جوابها أن جرت مسرعة نحو الستار واختفت وراءها برهة ثم عادت ..
عارية ... وأخذت موقفها المعتاد ...

ولما أتمت يومها قالت :

- ليقل (خطيبها) ماشاء الآن ، فقد انتهت منه ؟

وكانت هذا التصريح قد صوبت تياراً كهربائياً فجأة نحو الرسام ، فقال منلعها :

- حقاً إنك .. أريد أن أقول لك أني أشعر نحوك .. مدين لك ، بالشئ الكثير

والظلم أنها هي قد ارتجع عليها من عموض الموقف ، ولم تدرك ما تقول ، فسكنت

ورساد الصمت بينهما برهة الى أن قطعته الرسام قائلاً :

- تعالى وانظري نتيجة عملنا .. أؤكد لك أنك ستفطين هذه النتيجة ، فانت

على ما أظن لم تبالي أن تنظري يوماً الى هذه الصورة ؟ !

فالت وهي ما تزال جلالة على عرشها ونظرت الى الصورة الفنية الرائعة ، فما

كادت تستوعبها حتى صاحت صيحة فرح عظيمة قائلة :

- يا لله لما أجعلها ولكن .. مستحيل أن أكون أنا صاحبة هذه الصورة الجميلة البديعة .

فقاطعتها بحراة قائلاً :

- انك أجمل منها بلا شك !

فأجابته - كلا ، بل أنت الرجل العظيم .

وكانتما خشي ايترن أن يندفع وراء عواطفه فينسى نفسه فقال :

- لقد نسيت أن أخبرك .. فقد ذهبت بالامس لأدفع ثمن تلك الزمردة فقال لي

الجواهري انك قد دفعت له ثمنها فعلاً قبل أن أخذتها منه . فلماذا اذن (وهنا لأن

صوته وبانت فيه نغمة الامل والاسف) لماذا اذن تركتني أمضي في اتهامك بك .. ؟

وقطع كلامه عند هذا الحد منتظراً جوابها

فأجابت فيما يقرب من الخمس : - لاني ..

ولم تزد ، فوضع يده برفق على كتفها ونظر اليها نظرة استعطاف لم تعدها فيه من قبل قائلاً

- ألا ما أخبرتني يا .. ميليسنت ؟

فقربت منها من أذنه وأجابت بصوت خفيض :

- لاني .. لاني أردت أن أكون .. بقرتك .

فضمها بين ذراعيه متمسكاً ، وان الزمرد يرمز به المنجمون الى السيار الزهرة .

وهولدهم شعار الحب السعيد .. فما أسعد هذه الزمردة !!

عظة الدهر أو تفرق الشباب

١ - الفطرة البريئة

هناك على الشاطئ الشرقي للنيل في ذلك المكان الهادئ الجميل حيث الأشجار الباسقة والأغصان المزهرة والحدايق الغناء الوارفة الظلال ، هنالك وفي وسط تلك المملكة البديعة ، يبدو قصر أشم منيف قد كساه الزمان بحمال الطبيعة وخلع عليه الريح حلة السعادة وأكبه صفاء الأديم منظرأ بهيجاً .

في إحدى غرف تلك الجنة الواسعة الانحاء المترامية الأطراف على إحدى الأرائك جلس علاء الدين ، ذلك الشاب الاتيق المنظر الجميل الطلعة يترقرق ماء الحياة في وجهه وتبتسم الطبيعة لطلعته وتشرح الصدور لشروق عياه .

جلس كذلك يبدو على وجهه شيء من الجزع والحزن الصامت الرهيب تنتابه الهواجس وترعجه الظنون والأوهام .

جلس أسفا حزينا جلسة الفيلسوف في صمته أو الراهب في صومعته وقد أحزنه فراق والديه اللذين رياه صغيرا وتعهداه كبيرا حتى شب وترعرع في أحضانها تحبوه النعمة ويسعده الشرف وتزهو لديه الحياة . ولكنها الفطرة البريئة أبت الآن تتجلى صافية نقية ممتلئة في روحها الطاهرة التي قد بعدت عن كل معاني الخداع والرياء

٢ - الفؤاية

وانه لكذلك جلست اليه أخته التي تغيب الشمس حاء لشرقها

وتدوب اغصان البان غيرة من قدها واعتدال عودها ، وتذبل الوردة النضرة
ازاء ورود خديها ، جلست اليه تسليه وتواسيه وتشاركه ما فيه اذ أعلن
الخادم قدوم صديقه الجديد (عزيز) فخرجت أخته واذن لعزير بالدخول ، وما
أن رآه على هذا الحال حتى بدأه بنوع من التهمك والتأنيب شأن الناصح الاربب
قائلا : الاتزال على ما أنت عليه من طفولة وسذاجة تحزن وتجزع ولا أرى لكل
ذلك من سبب إلا انك لاتزال في عقلك القديم ؟ علام تأسف وتالم وترثي
وتجزع ؟ اليس هذه هي سنة الطبيعة جرت في مقاليدها وقادت الآن ترحلك
من كانوا يضيقون عليك سبل الحياة الناعمة في ظل الاخوان والاصدقاء
ويحرمونك لذة الانس معهم والصفاء ؟ جدير بمثلك أن يرفل في حلل السعادة
التي حرمها طويلا وان ينهر فرصة الشباب قبل أن ينصرم حبله ، فيتخذ من
اصدقائه وخلاته أنيسا ومن أحيائه رفقا وجلسا . ويل لمن أنعم الله عليهم بمثلك
بذاك المال وهذا الجمال والشباب ثم هو لا يشكر الله عليها باستثمارها والتمتع
بلفائذ الحياة وسعادتها !!

وهنا دخل الخادم فأعلن سيده بوجود ابنة عمه في انتظاره ، فاستأذن عزيز
على أن يحضر في الغد ، وانصرف وفي نفسه علام ما لا يحبه ، ولكن علاء
رأى الايصع فرصة مالكة له وسالبة قواده تلك الجوهرة الثمينة الغالية
التي كان يري فيها كل السعادة والصفاء.

٣ - المرام الصادق

وما هو ان ودع صديقه حتى طار الى الغرفة التي بها حبيته (ابنة عمه)
مع أخته وما أن وقع بصره عليها حتى بهت وقال (رياه !! ما هذا الشحوب يا أنصاف ؟
أكنت مريضة أم ماذا جرى ؟) فتهدت من أعياق نفسها ورنّت اليه بطرف
ساحر وقالت (كلا يا علاء فليس شيء من هذا أو ذاك فما أمرهني إلا أنت وما
أسقمي إلا جفاك ، فانت على وسبب دائي وفي يديك دوائي وشفائي ، لقد

عذبتني يا علاء وتركتني أقاسي ألم النفس ولوعة البعاد، اليس لي في قلبك من شيء
أوفي عطفك من نصيب؟ لو لا أختك العزيزة معك في هذا القصر ما زرتك ولا
دخلته. فهي سلوتني عنك. لقد جئت أزورها ولا استشف من روحها ما يخفف علي
آلامي ويسعدني في خلوتي. (فقطعت سعاد حديثها قائلة: لا تغضي يا أنصاف فإن
المسألة كانت لك. فاسترسلت أنصاف في حديثها قائلة (هل نسيت يا علاء العهد
الذي قطعناه امام والديك ورحمة الله عليهما، انك قاس يا علاء الدين. انه لا يمر
علي لحظة من ليل أو نهار إلا وأنا أفكر فيك وفي السعادة التي انتظرها معك
وفاء بذلك العهد الذي كاد يتم لولا القدر المحترم الذي انقض علينا ففجعنا
في عمي. لقد كان يحبنا كثيراً ويحضر علينا ويعطف اذا ما رأنا مجتمعين في
الحديقة أو على المائدة. اليس كذلك يا سعاد؟)

فاحت سعاد رأسها علامة الإيجاب واسترسلت أنصاف قائلة: (أجب
يا علاء أجب. فلقد ضاق صدري وكادت أنقاسي تنقطع حتى أرائني لا أقوى على
النطق، عثلي بأمل أسعد به في الحياة)

فترقق الدمع في عيني علاء وتلعثم لسانه فلم يستطع النطق حتى زفر
زفرات حارة عبرت عن قرارة نفسه أجاب بعدها قائلاً: لقد قتلتني
يا أنصاف بفارص عتابك وقاسي لومك، ومن أدراك أنني سلوتك أو
نقضت العهد الذي لا تتم سعادتي إلا بالوفاء به؟ كيف تعتقدين ذلك وأنت
أمنيتي وسر وجودي بعد والدي وحياتي التي لا حياة لي بعدها؟ من لي بعدك
يا أنصاف ينسيني آلامي ويرثي لحالي ويسعد لسعادتي ويشقي لشقائي؟ كيف
ذلك وقد كان ذلك العهد آخر كلمة نطق بها كل من والدنا وأهم وصية
لها؟ أنني أؤكد لك أنه مامعنى من الاسراع في التنفيذ إلا ما تعلين من أمر
وفاة والدي وما جره ذلك علي من الوقوع في مشاكل الحساب مع الزارع
والمستأجرين، وعما قريب أنتهي منها ويتم حظي ونسعد ان شاء الله. فافتتر

نُفِرها عن ابتسامة عذبة رقيقة طاهرة وذهب عن وجهها ذلك الشحوب الذي كاد يقتلها وقالت : (شكراً لله الذي من على تلك السعادة إذ قرأت في قلبك شرف العاطفة وصدق المقال) . فقال (ستحقق الأيام آمالنا قريباً يا أنصاف) وما كاد يتم جملة حتى أعلمه الخادم بقدوم صديق روحه ورفيقها الأول محمود .

٤ - الاخاء الصافي

فأذن له بالدخول و ذهب إليه علاء فتقابلوا بشغف واشتياق شأن الأخوة الأول ، وقد كان محمود رفيقه الأول وابن جواره وقد كان أعز عليه من نفسه . ولقد كان محمود هذا على جانب عظيم من شرف النفس ومثانة الاخلاق وصدق الوفاء مما جعل المرحوم والد علاء يوصي ابنه باستمساكه بعروة هذه الاخوة والصداقة المثينة فتعادتا ماشاء لهما الحديث ، وكثيراً ما كان محمود يتقدم إلى علاء بالنصح والارشاد شأنه في كل مقابلة مما زاد رغبة علاء فيه وكان يريد ان يفتح في حديث الصديق الجديد عزيز وباليته . ولكنه رأى أن استطاعته ردعه وارجاعه بنفسه في مقابلة الغد . وبعد ساعة قضياها في الحديث وأهم الشؤون ، استأذن محمود على أن يوالى الزيارة حسب رجاء علاء . انصرف مودعاً بمثل ما قبل به من الحفاوة والشفقة ثم عاد علاء إلى حيث أخته وخطيبته فوجدها على أهبة الخروج فرجماها في البقاء فنزلت على إرادته ومكثوا طول اليوم في عذب الحديث وترتيب الأمور حتى أذنت الشمس بالمغيب فاستأذنت أنصاف أذ لا يمكنها الانتظار لأن والدتها في انتظارها . فاضطر علاء أن يودعها وقد أخذت معها قلبه و بات ليته يناجي نفسه بقرب اللقاء والسعادة ، كما كان حالها أيضاً ، حتى أصبح الصباح وبدأ يدير بعض الشؤون التي ظلت لا تزال تشغله .

هـ - الصراع بين الفضيلة والرذيلة

علم علاء بقدوم (عزيز) فقام لمقابله فسلم عليه وفاتحه عزيز قائلاً :
 (لعلك تكون مسروراً بلقائك انة عمك ، وانما أخشى أن تكون من أولئك
 الذين يقتلون بنى اسمهم الحب أو يقتلون في حبائل العهد الذي يسمونه
 الزواج ؛ وما أظن المسألة إلا هذا ؛ أليس كذلك ؟) فأجاب علاء (نعم انها
 خطيبي وحبيني التي سأسعد بها قريباً) فضحك عزيز وهز رأسه استخفافاً
 وقال (لقد وقعت يا علاء .. خطيبتك !! هاهاها ..) انك لا تزال
 ترسف في قيود الرجعية العنيفة التي يعادها العالم المتقدم . نعم انك لا تزال
 متمسكاً بمبادئ القرون الاولى (١١١)

(أنت من أنصار الزواج ؟ أنت من الذين يفقدون أنفسهم قيد الزواج الذي
 هو أشبه شيء بقيد من الحرير ، إلا أنه أقطع من قيد الحديد ؟ من ذا الذي
 يترك القلب في أحضان الغايات الفاتكات يرتع بينهن و ينعم بجمعهن ليكون
 أسير واحدة يأسرها وتأسره ولن يجردها عنها عبيداً ؟ ناهيك بما ينبع ذلك من
 الاولاد والنسل مما يقيد حرية الانسان و يحرمه لذة السعادة في المجتمع الانساني
 ولكن على كل حال . . .) فقاطعه علاء قائلاً : (انك يا عزيزي أنتختي تأنيلاً
 وتعنيفاً على تمسكي بمبادئ الفضيلة والسعادة الحقيقية التي ينشأ عليها اتساع
 العمران ورفق المجتمع وتدعوني الى هذه الهمجية البهيمية التي يقول بها أولئك
 المتعجرفون ممن يدعون أنهم أنصار المدنية فينفرون من الزواج ويأثنون
 كل موقعة تليقها الفناء المحم . أنا لا أعتقد إلا أن هذا كله إنما هو جبن عن
 تحمل أعباء الحياة وتخلص من ميدان الرجولة) فتجهم وجه عزيز وقال في حدة
 (فضيلة السعادة العمران ومن الذي قال ذلك إلا أرباب العقلية الاولى ؟ أنها كلها
 الفاظ جوفاء لو قسمتم لم تجد لها مدلولاً . ولقد صدق بها الانسان الاول لقصر عقله
 وقلة بشارته ؛ راني بمسالى من تجارب الحياة قبلك انصح لك ببذول هذه

التقاليد العمياء التي تحمل الانسان في دنياه مالا قبل له به ولا قدرة له على حمله
 قلب الى رشذك واقتنع ولا تكثر على من الفاظ الرجعية التي ملتها الاسماع
 ولجها الذوق السليم. والآن اودعك لزيارة صديق آخر واستعد لنزهة نقضها
 يوم الجمعة ان شاء الله مع بعض الاصدقاء (فقبل علاء ذلك وودعه ، وبينما هو
 راجع اذ بصر بخطيبته في دهليز القصر مع أخته فذهب اليهما وتحدثوا في بعض
 الشئون ثم ودعته وانصرفا ، ووجه علاء همه الى انجاز أعماله حتى يكون
 على تمام الاستعداد في الميعاد الذي ضربه عزيز

٦ - الوقوع في الشر

وكانت نزوة الشباب قد لعبت برأس علاء اذ نراه يتلف للقاء عزيز
 عساه يحظى بتلك النزهة التي قد تصورها كاحسن أمنية يتمناها الانسان ؛ وما
 هي الا دقائق حتى علم بقدوم عزيز في جلبة وضوضاء مع بعض رفاقه فاذن
 بالدخول وأمر علاء الخادم باعداد المركبة ومالبث هذا أن أعلن انتظارها على تمام
 الاستعداد فركبوا وسارت تهب بهم الارض تنها وهم في ضحك ودعابة
 حتى أشار عزيز على السائق أن يقف أمام قصر فتم وسط حديقة
 يانعة الازهار ، وما عثموا أن نزلوا ، وما هي أن توسطوا الحديقة حتى
 قابهم خادم حيث قادهم الى حجرة كان في انتظارهم على بابها عدد من
 الشبان فدخلوا الحجرة التي قد توسطتها مائدة صنفت من جميع الصنوف
 والاشكال من طعام وشراب فاذن لهم بالجلوس فالتفوا حول المائدة وبعد أن تم
 التعارف ابتدأوا في الطعام والشراب وارتعت الكؤوس ودارت الاقداح ووزع
 الحباب بين الاحباب ، وما زالوا كذلك حتى لفت الحر برؤوسهم فقاموا ثمانين
 يتمايلون ذات اليمين وذات اليسار و يترنحون بالأصوات المزعجة التي تنفر منها
 النفس وتهم الاذان بما هيأته لهم الراح ، وقد ذهبوا الى حيث يقضون يومهم
 ولياتهم بين الغانيات وفي أحضان المومسات حتى أطلت عليهم كثافة الفضاء

من بين الستائر والمنافذ فراحوا الى منازلهم في غاية الضعف والاعياء وفي
 جملتهم علاء الدين الساذج الذي خدعته الغواية وأضله اخوان السوء فانغمس
 في لجنتهم وأفاض من حيث أفاضوا وانغمس في الشهوات والملاذ فكان من
 الضالين ولقد تبعه هؤلاء الاخوان حتى تمكن الشر من نفسه فصار لا يهدأ له
 بال ولا يقر له قرار الا اذا كان بينهم أو في مجلس الشراب والشباب هكذا ،
 سيما وقد كان فتنة القلوب بمنظره ، اذا صار ملك القلوب والافئدة وراغت
 فيه الاعين والبصائر فلقد كانت له هذه الحال وطالب لديه هذا النوع من العيش
 والتف حوله عدد من النسوة اللاتي قن بماله وجماله فكان يفتق النعم ويكثر
 العطايا ويوفر المال بذوا ودأب على هذا الحال مدة غير مبال بما يجره عليه كل
 ذلك من اتلاف في الصحة وضياح لما خلقه له والده مما كان لا يأتي عليه عد ولا
 تغنيه السنون ولما لم يجد لديه من المال من ابراده طلبه ، اقترض وما أسهل القرض
 على مثل هذا وسار أرباب الشهوة في جمع المال من غير الطريق الشرعي في
 أثره يمدونه بكل ما يطلب حتى أصبحت تلك الثروة الطائلة مهددة بالفناء ،
 وظلت المسكينة ابنة عمه وخطيبته تزور المنزل كل يوم تقابله فتبث
 اليه بعض النصيحة عليه يرتدع فما كانت تجده الا في حالة سكر عميق أو بين
 هؤلاء الاشرار ، بل لقد كانت رقيبها له تزدحمها الماعلى ألم وداء على داء فكانت
 تركن الى ابنة عمها يتشاكيان ويقباكيان حتى أدلهم الخطب وقدرح ولا من
 نصير ولقد كان محمود الطيب القلب يكثر من زيارة المنزل عليه يقابله على
 افراد ساعة أو يستطيع أن يحول بينه وبين هذا التيار فما كان يرفق ولا
 يستطيع ذلك

٧- الخطر المحقق

الى أن كان اليوم التاسع من الشهر الثالث عشر من تاريخ تلك الترهة
 المشهورة اذا برجل من رجال القضاء يحمل ورقة قدمها للجواب وأخبره أنها

انذار لبيده ان لم يدفع المبلغ في ظرف اسبوع تكون جميع املاكه
معرضة للبيع للوقت به . فعملها الخادم الى سيده اخت علاء وما انت
على ما فيها حتى صفت المسكينة وسقطت واهية القوى في حالة اغماء شديد
وما كاد الخادم يتوسط الدهاليز حتى رأى المسكينة انصاف فأخبرها بالخبر
فسارت الى اختها عليها تقف على الحقيقة وما كادت تطأ قدمها الغرفة حتى
فزعت وأسرعت الى عمل الاسعاف الممكن حتى أفادت المسكينة سعاد ورجلا
الى بعضهما وما هي الا هتية حتى أخبر الخادم بقدم الصديق محمود
فيأنا نجييه ؟

وبينما محمود في انتظار الخادم اذ أبصر عربة علاء على بعد تكاد تشق أجواز
الفضاء فانظر وبعد لحظة وقعت العربة ونزل منها المأقونون يحملون علاء
على أيديهم كالجنة الهامدة وطاروا به الى حيث غرفته حيث وضعوه على سريره
ولاذوا بالفرار . كل هذا ومحمود مبهوتين لهذا الحادث وقد علم بحادث الانذار
فاشدت آلامه . ولكن لابد من الاسراع الى الانتقاذ فأخبر الطبيب عن
المسألة .

٨ - النجاة

وقصد محمود الى علاء في غرفته وكانت بها الأخت والخطيبة فتراجع قليلا
وما هي الا لحظة حتى حضر الطبيب وبدأ يفحص المريض والكل من ورائه
في حالة سكون ووجوم ينتظرون الرأي الأخير ، الى أن رفع الطبيب رأسه
قائلا لا تخافوا فالعاقبة سليمة ان شاء الله . انه معنى عليه على أثر اقراطه في
الشراب ويظهر انها انقلبت حمى وسأنظر ويؤدى الى الفحص وعمل الاسعاف
وهو يقول : لاخوف اطمئنا . حتى عاد المريض الى الحركة والتنفس الى حد ما
ولكنه لا يزال في غيوبة وهكذا لبث المسكين يعاني الم الحمى وأمراضا أخرى

خطيرة شنيعة . كادت تفتك به لولا العناية الالهية التي انقذته لاسخه وخطيئته ولولا مساعدة ذلك الصديق الخيم الذي لم يكفه أن يلاحظ حالته الصحية بل أنه بهمة وحزم عاج المسألة المالية بعناية وحرص . وظل يتابع المسألة بدقته ومهارته وظل المسكين علاء أيا ما لا يعبى فيها شيئاً الى اليوم السادس حيث انتبه ووعى ما بهجابه ومن يقوم بحراسته وما يجرى حوله فكان كلما نظر يبكى وينتحب وهما يهونان عليه ويهدنان من روعه وكلما رأى محمود يتمنى ان لو عادت اليه صحته فيخر راکماً لصديقه الذي خدمه لالمأرب أو لغاية

الى أن كان اليوم الخامس والأربعون واذا به قد تمائل للشفاء ونهض واقفاً مستغفراً منياً الى ربه تائباً عن جميع ذنوبه طالباً منهم الصفح عنه وهم يحمدون الله على تمائله للشفاء ويثمنونه بذلك واذا بالخدام يعلن قدوم الصديق محمود وما كاد علاء يراه حتى جرى نحوه مستغفراً قائلاً انقذت حياتى فيماذا أكافئك ..

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

الخاتمة

فقاطعه محمود (لاشئ يا أخى فما فعلت غير الواجب وما جئت إلا لاهتك على أن آخر قسط من ديونك قد دفع اليوم ولم تخسر سوى جزء يسير جداً من ضيعة كذا ، فدهش علاء دهشة الفرح وقال (الآن وقد عصيت وكنت من الخاسرين فلا تضرن عن سيئاتى ولا تستغفرن ربى وتفرضوا على ما شئتم فلكل منكم حياتى فاقسموها فأنا من الطائعين .

فأجابه محمود (لاشئ يا علاء مطلقاً ولا تحمل نفسك أكثر مما يجب وليس علينا جميعاً إلا أن نحمد الله على ان زالت تلك الغمة التى نكدت عيشنا جميعاً غير أننى أرى أن الانصاف أن تقضى الى انصاف (فاحر وجهه خجلاً وسكت . فردت انصاف قائلة (واننى أرى ان الاجدر بمحمود ان

يتال سعاد وما أرا في خاطئة في هذا ولا أظن علاء أو سعادا تمنع فذلك هو
هو المرام. فاغضت سعاد حياء ولكن علاء صاح قائلاً الرأي ما قلت يا انصاف
محمود أهل لها ولا مرأء ثم ساد السكوت مدة وعلامة الرضى والارتياح من
جميع وشمل السرور القصر من جميع نواحيه وأعلنت الخطبة لكل من الزوجين
وبعد أيام ثم الزفاف في حفلات الانس والسرور بين جميع الأهل والاحباب
ولم يغب منهم أحداً فكانوا سعداء الى الابد .

م — س

— — — — —

لذة العمل

إن البهجة والغبطة اللذين نشعر بهما بالعمل الذي يؤديه إيسا شيئاً مفرحاً فقط ،
وإنما هما وسيلة وعون لنا لنسير في غمنا نحو السكال
والحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أنه ليس من انساب
يستطيع أن يؤدي عملاً متقناً إذا لم يشعر باللذة في أدائه
إن التناذ الإنسان بعمله هو بمثابة آلة الصقل . صحيح إن العمل قد يتم بدونها
ولكنه يكون عملاً ابتر ، مظلم ، خالياً من كل رواء وبهجة



القصة

مناظر الحياة

عند ما يجلس المخرج في الصفوف الامامية يستطيع أن يشاهد عن قرب كل ما يجري على المسرح من صور ، وحيث يشغل عقله بدراسة الصور التي تمر عليه من كل فج ، ويرى بعينه ما يشيروه اصحاب هذه الصور من عجيب في الحياة

فهناك أناس لاهم لهم إلا ملء بطونهم بألوان الطعام والشراب ، وغيرهم يقاسون أهوال هوى مبرح أو يلهون بمخادع حب مزيف ، والضاحكون ، والباكون ، والمغرمون بالتدخين ، والمراؤون ، والمتافسون ، والراقصون والزامرون ، كما أن من الناس من يطرب للجدل والنقاش في غير ما جدوى ، وآخرين يجعلون منهم اصطفايا المرأة والصور من وقطاع الطرق والنشالين وبعضهم يراول مهنته في الحياة تحت انظار البوليس الواقف للمراقبة ، وثم نصابون (نصابون أهون عنهم الرياء والطاعون) ودجالون قوالون غير فعالين أو يقولون ما ليس في قلوبهم ومن الناس من يقع بفنائه الموائد دون أن يطمع في أن تكون له عائدة .. وإن هؤلاء جميعا يؤلفون سوق الرذيلة ، وهذا هو الضلال بعينه : إن العالم ليعجب بضحك خيرته البكاء !!

أنظر الى الممثلين على مسرحها ، الجادين منهم والمجائنين ، حين يفرغون من عمل يومهم و يعودون الى بيوتهم : تجد زبداً الغر ينفض عن نفسه غبار الشقاء — مشقة العمل — أولاً ثم يجتمع آل البيت (الزوجة والأبناء) ليتناولوا الطعام الذي لبث ربهم طول النهار أو الليل كادا في سيله ، فايكاد يحترق به كرسيه حتى يتقل بوجهه نحو كل فرد من العائلة ملقيا على الجميع سؤالا واحداً هو : كيف حالك؟

تصدر الآن أن هذا الرجل الذي يدخل بيته مستبشراً منهلاً على هذه الصورة غير عابئ إلا بما يعود عليه وعلى آله بالغبطة والراحة : يكون ابنه اليافع قد هام بحب غادة ساحقة قلوب ، أو شغفت بنته بهوى لعوب . فلا شك أن السعادة النجبة على هذه العائلة في الظاهر تكون زائفة في الحقيقة ، ولأنك سحابة الهناء حتى تكشف عن أمور

أقل مافيه أنها تحمل المفكر على التأمل العميق .. المضطرب .. حتى لقد يتناول كتابا للبطالعة أو يقبل على عمل يؤديه يريد أن يدفع عن نفسه التأمل ، فما يستطيع إلا أن يبرح متأملا

ليس للنظر الى الحياة بالمنظار المكبر حكمة أكثر مما سلف ، وإن كان هناك أحد لا يرى فائدة مطلقا من عرض هذه الأسواق ، أو ممن ينكرون بتانا تخلق أحد من حاشيتهم و بطائنتهم وأهليهم بغير الفضيلة - فسواء أ كان أولئك أو هؤلاء صادقين أو مخطئين ، فإن هناك كثيرا من الكسالى ونقرأ من الأسخياء وطائفة من أصحاب المزاج النهكى لا يصدقون ذلك ، وقد يكفيهم بعض الساعة في مشاهدة الأدوار التي يقوم بها أولئك الجاحدون المنكرون للحوادث ليروا خلالها مناظر شتى . يرون من خلال مناظرهم المشاحنات المختلفة التي تنشأ بين أفراد المجتمع الواحد - وبين هذه المشاحنات - الكبير والصغير - فمنها ما يرجع سببه الى تنافس في ركوب الخيل ، ومنها تناحر على أمور أعلى وأقرب أثرا في الحياة ، كما أن منها مالا يعدو النظرات المتبادلة كأن يغتبط وليل نظرة عطف من أيه فيغضب لذلك الآن الآخر ..

هذه المناظر جميعها يشاهدها المؤلف القصصى على ضوء مصباحه اللامع ظاهرة جليلة أكثر مما يراها المشاهد العادى .. وكل له منظاره

فإذا كان الأب مرآة الحياة فإن القصة منظارها ، وبغير المنظار لا ترى عيوبنا لنداورها ، وأمراضنا لنعالجها ، حتى تظهر الصورة المنعكسة على المرآة صافية

